

مريد البرغوثي

قصائد مختارة



منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية
بالتعاون مع دار الفاروق بنابلس

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

قصائد مختارة

مُريد البرغوثي

منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية
بالتعاون مع دار الفاروق بنابلس

قصائد مختارة

من دواوين الشاعر

مريد البرغوثي

١٩٩٦

طبعة خاصة أصدرتها

وزارة الثقافة الفلسطينية

بالتعاون مع

دار الفاروق للثقافة والفكر والعلوم والآداب

نابلس / شارع جمال عبدالناصر

تلفاكس ٣٧٧٩٦٩ / ٠٩ ص ١١٢٧

مشهد يومي

ناعم هذا النهار الشتوي
بين أصداء على البعد
وإصغاء الرذاذ
حجرة واحدة ، شباكها المكسور شفاف
فلا حاجز بين الغيم في العالي
وأطراف الحصيرة
ويد الطفل ، بغمازاتها الخمس
تخط الآن في لين
على الثدي المغطى بالزغب
طالباً رضعته ما بين جوع ونعاس
وبعين الأم فخر احتفالي
وأثار التعب
و وراء النافذة
استمرّ المشهد اليومي :

أولادٌ يعدون المقاتل
وأصوات هتافات ورايات
وعسكر
يطلقون النار في زهوٍ وفوضى
وصبي آخر يهوى شهيداً
فوق أسفلت الطريق .

الشرفة

شُرْفَةٌ واسعةٌ قَرَبَ المحيطِ
وضبابُ الصبحِ يَأْتِيها بلونُ
ورذاذِ الليلِ يَأْتِيها بلونُ
وصيْدَامِ الصخرِ والأمواجِ لا يَتْرُكها للنومِ أو للارتياحِ
شُرْفَةٌ أَنْسَهَا الموجُ ، وما زالت تخافُ الموجَ
هذا هُوَ قَلْبِي .

* * *

شُرْفَةٌ واسعةٌ قَرَبَ الجبالِ
يَشْرَبُ العالَمُ فيها قَهْوَةَ الصبحِ
وتَسْتَأذِنُ منها الومضةُ الأولى لقرصِ الشمسِ
أَنْ تَعْبُرَ أسوارَ المدينة ،
فَمَنْ اسْتَعْدَى عليها الضَّوءَ حتَّى فاجأَتْها
طلعةُ الصبحِ بغيمِ
وبقرصِ داكنٍ يطلع من خَلْفِ الجبالِ ؟

شُرْفَةٌ لامرأةٍ

شُرْفَةٌ للأصدقاء

شُرْفَةٌ يَسْقُطُ فِيهَا كُلُّ غَصْنٍ كَسَرَتْهُ العاصِفَةُ ،

ورفوف الطير تبحث فيها عن حبوب

هل هي الغابة ؟ من يركضُ فيها ؟

مَنْ عَلَى أطرافها الكَثَّةُ لَيْلاً يَسْتَغِيثُ ؟

ها هم الأطفال فيها قد تَمَادَوْا فِي النزاع

يطرحون الأسئلة

ويموتون ويحيون وأيضاً ، يطرحون الأسئلة

هل هو الهمس الذي خافَ

فأضحى صاخبا ؟

أم هو الصوت الذي خافَ

فأضحى هامساً ؟

ومن القادم نحوي

هادئَ الوجهِ وممدودَ اليدين ؟

هل أرى طيفَ صديقي

أم أرى طيفَ عَدُوِّي ،

أم هي المرأةُ وانشَقَّتْ بكفِّي قطعَتَيْنِ ؟

* * *

شُرْفَةٌ تَبْحَثُ عَنْ مَنْزِلِهَا الْمَهْدُومِ
هَذَا هُوَ قَلْبِي .

١٩٧٨/٣/٢٧

رضوى

على نولها ، في مساء البلاد
تُحاولُ رَضْوَى نسيجًا .
وفي بالها كلُّ لونٍ بهيج
وفي بالها أُمَّةٌ طال فيها الحدادُ
على نولها ، في مساء البلاد
وفي بالها أزرقٌ لهبِيّ الخوافِ
وما يمزجُ البرتقالَ الغروبيَّ
بالتركوازِ الكريمِ
وفي بالها وردةٌ تستطيعُ الكلامَ
عن الأرجوانِ الجريحِ
وفي بالها أبيضٌ ، أبيضٌ ، كَحَنَانِ الضمّاذِ .
على نولها ، في مساء البلاد
وفي بالها اللوتسيُّ المبلّلُ بالماءِ
والأخضرُ الزّعترِيُّ

وَصُوفُ الضُّحَى يَتَخَلَّلُ قُضْبَانِ نَافِذَةٍ
 فِي جِدَارِ سَمِيكِ فِيدْفَىءُ تَحْتَ الضُّلُوعِ الْفُؤَادِ .
 عَلَى نَوَلِهَا ، فِي مَسَاءِ الْبِلَادِ
 وَفِي بَالِهَا السُّتْبَلِيُّ الْمُعَصِّقَرُ
 وَالزَّرْعِرَانُ الَّذِي قَدْ يُجِيبُكَ لَوْ أَنْتَ نَادَيْتَهُ
 وَالنَّخِيلِيُّ وَهُوَ يَلَاعِبُ غِيَمًا يَحَازِيهِ
 فِي كَفِّهَا النَّوْلُ مُتَعَبَةٌ
 تَمْزُجُ الْخَيْطَ بِالْخَيْطِ وَاللَّوْنَ بِاللَّوْنِ
 تَرْضَى وَتَسْتَأْ ، لَكِنَّهَا
 فِي مَسَاءِ الْبِلَادِ
 تُرِيدُ نَسِجًا لِهَذَا الْعِرَاءِ الْفَسِيحِ
 وَتَرْسُمُ سَيْفًا بِكَفِّ الْمَسِيحِ
 وَجُلُجَلَةً مِنْ عِنَادِ .

١٩٨٧/٣/٢٦

غبطة

سِراغا ،
تُغْلَلُهُمْ ضِجَّةُ الرِّكْضِ
لا يَنْظُرُونَ إِلَى الْخَلْفِ
عاصفةً من غُبارِ تُلَاهُتُهُمْ
والزَّمانُ مَهَامِيزُ تَدْفَعُهُمْ لِلْأَمَامِ
فلا وَقْتَ فِيهِ لَدْفِنِ الَّذِي مَاتَ رِكْضًا
ولا وَقْتَ لِلشَّاشِ حَوْلَ الْجِراحِ
ولا وَقْتَ لِلإِختِبارِ الدَّقِيقِ لَجِسمِ الرِّياحِ
ورُوحِ الطَّرِيقِ ، ولا أذنَ تَسْمَعُ نُصْحًا
يَهْزَ وَثُوقَ الْوُثُوقِ
ولا عَيْنَ تَبْصِيرٍ إِلَّا أَمَامَ الْأَمَامِ .
ولا ضَيْرَ فِي كُلِّ ذَلِكَ ...
لكنَّ ما يَرْكُضُونَ إِلَيْهِ جَمِيعًا ،
تَكْوَمَ ، مُنْسَجِمًا ،
خَلْفَهُمْ !

١٩٨٧/٣/١٤

موج

تَعُودِينَ مِنْ عَمَلِ الْيَوْمِ
مُجْهِدَةً الْجِسْمِ وَالرُّوحَ مِثْلِي
وَنَغْتَابُ عَالَمَنَا فِي هُدُوءِ الْغَدَاءِ .
وَتَمْضِي الشَّوَاغِلُ ، دَرْسُ الصَّغِيرِ
انْقِطَاعُ الْمِيَاهِ ، اخْتِفَاءُ الْكِتَابِ الَّذِي
نَتَبَادَلُ فِيهِ الْقِرَاءَةَ
تَدْبِيرُ أَمْرِ الْعِشَاءِ .
مَشَاكِلُ جَارٍ سَخِيفٍ
وَتَهْنِئَةٌ لِلصَّدِيقِ الْمُشَاغِبِ
بَعْدَ ثُبُوتِ بَرَاءَاتِهِ فِي الْقَضَاءِ .
وَنَسْرِقُ تِسْعَةَ أَعْشَارِ قُبُلَتِنَا بَيْنَ
غَسْلِ الْأَوَانِي ، وَإِعْدَادِ شَايٍ لَضَيْفِ الْمَسَاءِ .
وَفِي آخِرِ اللَّيْلِ

يرتطمُ الجسمُ بالتَّعبِ المستطيلِ
 تقولين لي
 " طابَ ليلُكَ يا صاحبي "
 وأتمِّمُ مرتبكاً
 " تصبحين على ألفِ خيرٍ "
 ونطفئُ مصباحنا ، في امتثالٍ لأمرِ الثُّعاسِ الذي نشتهي
 ثُمَّ
 يرفعنا الموجُ من يومِنا كُلِّهِ
 فيبعثرُ عنا ملابسنا في جميعِ الزوايا
 ويرمي بأجسادنا في هياجِ العناقِ .

١٩٨٧/٣/١٥

مدراج

هو مَدْرَجٌ للطَّائِرَاتِ
يَظَلُّ يَحْشُدُهَا بِعِزِّ صَاعِدٍ ، مُتَّصِعِدٍ ،
حَتَّى تَطِيرَ .
حَرٌّ مِضَاءٌ بِالنَّدَى وَالنُّورِ صُبْحاً أَوْ مَسَاءً
لَيْسَ يُثْقِلُهُ الثَّقِيلُ ،
وَلَا تَخَافُ فِضَاءَهُ فِرْقُ الْعَصَافِيرِ الصَّغِيرَةِ .
مُلْتَقَى كُلِّ الْجِهَاتِ وَمُلْتَقَى الْبَهَجَاتِ ، رَاحِلَةٌ وَعَائِدَةٌ ،
رَقِيقٌ فِي مُلَامَسَةِ التَّعْلُقِ بِالْحَيَاةِ ،
كَأَنَّمَا صَاغُوهُ مِنْ زَعْبِ الْكَتَاكِيتِ الْوَلِيدَةِ
وَالْحَرِيرِ .
لَكِنَّمَا ...
بِالْأَمْسِ ،
حَطَمَتِ الرِّيحُ عَلَيْهِ طَائِرَةً
وَعَطَّتْهُ الْحَرَائِقُ وَالرُّكَامُ
وَحَوَّلَتْ عَنْهُ الْمَبَاهِجُ كُلُّهَا
مُذْ ذَاكَ ، أَصْبَحَ مِثْلَ
رُوحٍ .

أبو منيف

أدركته

وكانه ، مذ كان ، لم يُفجع بمخلوقٍ سواك !

الموتُ فينا منذ آدمَ يا أبي

عممَ وعادى تماماً

كيف باغتتني ، إذن ، حتى العظام ؟

* * *

يا للسذاجة

هل وهمتُ ، كأبي طفلٍ ، أن سحراً ما

سيستثنيك مما ليس يُستثنى

وأن الكونَ مبنىٌ بحيثُ تكونُ فيه على الدوام ؟

خلفتُ خلفي نصفَ ما في العمرِ من عمرٍ

ونصفَ النفي ، نصفَ الليلِ

حين تلعثم الناعي

وأجرحُ ما يكونُ النعيُ لعثمةً

وأفصحُ كلما انكسر الكلام !

* * *

صوتٌ يرقُّ على مياهٍ مخاوفي كذوائبِ الصفصافِ
محنيٌ بوطاةٍ ما يحاول أن يُخْبِيءَ أو يذيعَ
كأنما الناعي يحاول مستحيلاً
مثل تحميل الحديد على غمامٍ .

* * *

ولَكم خُذِلْتُ وقد تيقَّن أنه حتَّى
حنائك

لم يَرُدَّ الموتَ عنك
وأنَّ حُبَّ الناسِ حولك
لا يقي حتَّى من الموتِ البسيطِ
كانَ في جهالةِ الطفلِ الذي
عَجَنَتْ أَصابعُهُ قِوانيناً من الصِّلصالِ
حَسَبَ هَواه :

يَدْخُلُ في البِدَايَةِ ثم لا يَرْضَى بِأَسبابِ الخِتَامِ !

* * *

وتموتُ في المنفى
ومنْ منفى سِواه
يطيرُ وَحَسُّ النِّعَمِ

مِنْ مَنْفَى إِلَى مَنْفَى وَتَبْتَعدُ الْبِلَادُ
 بِخَبْزِهَا وَجِرَارِهَا وَمَنْمَمَاتِ الْعُشْبِ فِي
 أَسْوَارِهَا ،
 بِهَشَاشَةِ الْقَمَرِ الَّذِي يَسْرِي بِأَخْضَرِهِ
 عَلَى صَبَّارِهَا
 وَنَدَى عَلَى تَيْنٍ عَلَى غَصَنِ عَلَى شَجَرٍ
 تَلَاعِبُهُ الْعَصَافِيرُ الْمُصَابَةُ بِالْغَبَاءِ فَلَا
 تَكْفُ عَنْ الرَّحِيلِ وَلَا تُحَسُّ بَضِيعَةَ الْأَوْطَانِ مِثْلَ النَّاسِ
 تَبْتَعدُ الطَّوَائِينُ الْقَدِيمَةُ
 وَالْمَسَامِرَةُ الْحَمِيمَةُ فِي الْمِضَافَاتِ
 الَّتِي اعْتَادَتْ عَلَى شَتَمِ الْمُلُوكِ عَلَى الْحَصِيرَةِ
 وَالتَّلَفُّتِ مِنْ قَبِيلِ الْإِحْتِرَاسِ
 وَخَشْيَةِ الْوَاشِينَ
 تَبْتَعدُ الدَّمُوعُ الْغَامِضَاتُ عَلَى لِحَى الْأَبَاءِ
 وَسَطَ مَبَاهِجِ الْأَعْرَاسِ
 تَبْتَعدُ الْأَهْلَةُ وَالْقِيَابُ الدَّاكِنَاتُ
 وَقُوَّةُ الْأَلَامِ فِي الْأَنْفَاسِ
 تَبْتَعدُ الْقُرَى بِطَرَازِهَا الْقَوَاطِي
 وَالسَّاحَاتِ وَالْأَقْوَاسِ

تَبْعُدُ الْحِكَايَاتُ الَّتِي كَذَّبْتَ عَلَى نَعْسِ الصَّغَارِ وَقَدْ
تَمَادَوْا فِي النِّعَاسِ

وَفِي اشْتِهَاءِ الْأَكْلِ وَالطَّابَاتِ
تَبْعُدُ الْقُرَى بِالنَّاسِ إِذْ يَتَحَايِلُونَ عَلَى الْمَاسِي
بِالتَّلَاقِي فِي الْمَاسِي ،
يَجْعَلُونَ الْحُزْنَ أَرْشَقَ مِنْ مَشَائِلِ حَقْلِ كَمَثَرَى
تَقْضُضُ فِي الظَّلَامِ .

* * *

وَتَمُوتُ فِي الْمَنَفَى
كَانَ الْأَرْضَ لَمْ تَطْلُبْ بَنِيهَا
أَوْ كَأَنَّا لَمْ نَطَالِبْ مَثَلَمَا شَاءَتْ
وَلَمْ نُعْطِ الَّذِي قَصَدَتْ
فَهَلْ تَعِبَ الْمُطَالِبُ يَا أَبَى
أَمْ صَارَ هَذَا الْحَقُّ قَطْرَةَ زَنْبِقٍ
فَتَشَاجَرَتْ كُلُّ الْأَصَابِعِ فِيهِ
وَابْتَعَدَ الْمُتَاحُ عَنِ الْمَرَامِ ؟

* * *

صِيحَاتُ غُرَبَتِنَا تُوزَّعُ جَمَرَهَا
وَتَعُودُ أَبْرَدَ مِنْ صَقِيعِ اللَّيْلِ

حين يشفّ شاهدة الرُخام

* * *

والليل حولي لا يمرُّ

وليس حولي مَنْ يُواجِعُنِي وَيَكْذِبُ (صادقاً)

من أجل رُوحِي

أو يَلمُومُ هِشاشَتِي حتّى ألومَه !

أما المسافةُ بين أحبابي وبينِي

فهى أقبحُ مِنْ حُكُومَة !

وعلى تفسيرِ العلاقةِ

بين أعلامِ البلادِ وبين خوفي

وعلى تفسيرِ انتصارِ "القصرِ"

حين يحولُ بين دموعِ أُمِّي الذاهلاتِ

وبين كِنْفِي !

بين قَهْرٍ بعضُ وطأتهِ كظلفِ الكركدنِ

على رفيفِ القلبِ في قلبي

وبين نباحِ كلِّ نجومٍ نصفِ الليلِ خلفي !

بين داءِ البرلمانِ وبين شكلِ الاقتصادِ

وبين أنْ لا يلتقي نصفِي بنصفِي !

كم سَاهِزُمُ مِنْ ملوكِ يا أبِي

حَتَّى تَمُرَّ عَلَى جَبِينِكَ لَمَسَةً مِنْ طَرَفِ كَفِّي !

* * *

فَاذْهَبْ وَحِيداً يَا أَبِي
اِذْهَبْ إِلَى مَنْفَاكَ مِنْ مَنْفَاكَ
اِذْهَبْ إِلَى قَبْرِ غَرِيبٍ عَنْ قَبْرِ بِلَادِنَا
وَاصْعِدْ مَقْدَمَةَ الْجَنَازَةِ مُفْرِداً
وَلتَنْتَظِرْ أُمِّي تَعَاذِي الْإِبْنَ وَالْغُرَبَاءِ
مَعَ سَاعِي الْبَرِيدِ !
وَاعْلَمْ بِأَنَا لَنْ نَمُكِّنَ مِنْ وَدَاعِكَ يَا أَبِي
فَلِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ لَا لِسَوَاهُ
تَرْتَفِعُ الْكَفَاءَةُ فِي مَخَافِنَا
وَتَسْهَرُ كُلُّ عَيْنٍ فِي الْحُدُودِ
وَلِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ ، لَا لِسَوَاهُ
يَشْتَدُّ التَّنَافُسُ فِي وَزَارَاتِ الدِّفَاعِ
عَلَى احْتِلَالِ مُنَمَّنَاتِ الرُّوحِ فِي رُوحِي
وَيَنْتَصِرُونَ ، فِي زَهْوٍ ، عَلَى قَبْرِ الْفَقِيدِ ..

* * *

لَا حَقَّ لِي فِي الْحُزَنِ
لَكِنِّي مُحِقٌّ فِي الْغَضَبِ

لا ، ليس حزناً ما يُرَجَرُجُ زِيْزَقُونَ الروح بل غضبُ أراه
مُشْخَصاً وله قَوامٌ .

* * *

فاذهب وحيداً يا أبي
واترك لنا هذي العجائب والخلايَظَ
لا تَقُلْ شيئاً
فإنَّ الموتَ في المنفى اتَّهامٌ .

بودابست - ديسمبر / ١٩٨٦

قييد

لمثل هذه الحياة كان ينبغي
أن يولد الإنسان
وكفه بحجم تلة
أكتافه بحجم تلتين
لسانه بحجم ساحة
عيناه ألف عين
خطوته بألف ميل
لكننا كما ترون - هكذا -
والموت وحده سيسقط القيود ،
أو يوقظ السؤال .

١٩٧٨/٤/٥

النافذة

يمدُّ يداً ، ويزيحُ الستارة :
بعضُ الندى عالقٌ بالزجاج
وشرخٌ يميل كقوسِ المحاربِ
تُخطفُ عينيه حنونةً في ابتداءِ التفتُّحِ
بيضاءَ صفراءَ وسطِ اخضرارِ الحشيشِ
الذي موجَّتهُ الفراشات بالرقصة الفاتنة
وبعضِ العصافير تصطف فوق السياج
كمستقبلين استعدوا لمقدم ضيفٍ
- تباعته بالفرار المفاجئ
برقٌ من الطير يتبعها -
ثم تهتز كافورةً بالنشيدِ
وكان رذاذُ الصباح يبوح بألوانه الغامضاتِ
وما كان أخفاه شيئاً فشيئاً تجلَّى
تلوح خطى الباكرين إلى الرزق متقلّة بالتعودِ
لكنها مسرعة

ويسمع شيخاً يداعب طفلاً
 وآياً من الذكر يُتلى بمذيع مقهى بعيد ،
 تغني العصافير أعلى
 ويختلط الظل بالضوء بين الغصون
 وترتعش اللحظة الساكنة
 هو الكون يُعلن فتنته الكامنة
 أراد النزول فعطله جُرحه من جديد
 أزاح الضماد قليلاً ، فأوجعه ، ثم أرجعه ،
 ثم عاد يطل من النافذة :
 رأى داخل القفص المعدني على شرفة الجار
 أن الكنار يحاول شيئاً
 وعند انحناء الطريق
 رأى بضعة من رجال يجرون شخصاً
 - وقد قيدوه -
 (وكان يحاول أن يتقي ضربهم بالصراخ)
 وأبصرهم حين ألقوه في الشاحنة
 يمدُّ يداً ، ويشدُّ الستارة ،
 يوم .. جديد ..

السياج

بعيداً عن الوطن الممكن المستحيل
قريباً من الساعة المفزعة
فتى ساهم :

" يا بلاد الحنان قسوتِ عليَّ "
وَحَمَلْتَنِي اللّهُجَةَ المَوْجَعَةَ
وَحَمَلْتِ رِيحِي معادنَ نذرٍ ثَقِيلِ
ولم تبصريني نسيماً تموج مناديله
أذوبُ بغصنٍ يرفُ ،
أموتُ على جيدكِ المتعالي
وحينَ تمرُّ البناتُ أذوبُ هوى .
وَيُنْقِلْنِي جَبَلٌ أرْتَقِيهِ إِلَيْكِ
وَيُنْقِلْنِي قَطْرَةٌ مِنْ نَدَى .
وَأَقْتُلُ ، لكنني ، يا بلاد الصعوبة ،
تفتنني نبتةً ،
وتمتد حول عيوني البساتينُ خضراً

ويلتفُّ حول يديّ السياجُ
العصيّ الذي لا يميلُ
أنا الكاسيرُ المستفزُّ الذي يرهبونُ ،
وتأبى المدينة أن تسمَعَه
وما علموا أنني أَطْلِقُ النارَ كي لا يهبَّ عليّ البكاء!
... ..

بعيدًا عن الغرفة الدافئة
قريبًا من الانفجار الوشيك
وفي داخلِ اللحظة المفزعة
فتى
مال للأرضِ ، مُخْتَرَقًا بالرصاص
ومال السياجُ مَعَه .

١٩٧٨/٤/٣٠

الساحة

ساحة في أول الصبح
مظلات المحطات ، وبعض الواقفين
رقم للباص ، تخطيط لأقدام المشاة ؛
صحف اليوم ، وأولاد حفاة
ألفوا بعض العناوين
ويعذون إلى كل اتجاه ؛
والحوانيت الكبيرة
لم تنزل أقالها تغفو بإهمال
كجرذان قتيله .
قام شحاذون من نوم قصير في الزوايا
ثم ضاعوا في هدير الحافلات
ينحني الطاعن في السن على بعض لفافه
ويسير ..
يركض الشاب الذي ألصق منشوراً
على الحائط ،

والصمغ يغطي راحتيه
 تكبر الشمس على الشرق
 ويزداد وضوح اللافتات :
 مكتب للإستشارات ، محام ، وطبيب ،
 قارئ الكف ، ومقهى ، بنك روما
 بنك شيكاغو ، وسيط للعقارات
 وملهى العائلات ،
 وعلى طول جدار "السينما"
 يقف "الكابوي"
 والكفان فوق الخاصرة
 وعلى مدخل درب جانبي
 يقف الخادم في الصف أمام الخضروات
 ثم .. يشتد الزحام
 وتمر الشيفروليه
 ويمر الجنرال

 انه مطلع يوم عربي .

القبائل

قبائلنا تسترد مفاتيها :

خيام خيام

خيام من الحجر المستريح ، وأوتادها مرمر أو رخام .
نقوش على السقف ، والورق المخملي يغطي الحوائط ،
والصور العائلية و "الجيوكاندا"

تحاذي حجاباً لرد الحسود ،

بقرب شهادة ابن تخرج في الجامعة -

إطاراتها ذهب يعتليه الغبار .

خيام ، ونافذة من زجاج

هي الفخ ترتعد الفتيات المطلات منه

إذا ما الصغير وشى للكبار .

بخار من الشاي يصعد ، صودا وويسكي ،

و "ولا أستسيغ النبيذ" و "معذرة " ،

هل نجحت مع الزوجة الرابعة ؟ "

خيام خيام

تضيء الثريات فيها الأثاث الوثير
ويمرّح فيها ذبابُ الكلام
وأبوابها من نحاسٍ تُجرُّ عليه السلاسلُ
قبائلنا تسترد مفاتيحها
في زمان انقراض القبائل !

١٩٧٨/٤/١٧

جَفَّتْ

فلا تمرّ على شجرٍ

ولا عشبٍ على نهرٍ تخضّره الضيفان

جَفَّتْ

سقيناها نفوساً والعلاقات الجميلة والأحبة والطفولة

وانسكبتنا

قلنا : نكون لها الغمامة ، وانسكبتنا

نسقي ، نوزع ماءنا / دَمْنَا

ونحلم بالمواعيد البعيدة والقطاف

فإذا بها سبعٌ عجافٌ بعدها سبعٌ عجافٌ

هل من مزيدٍ تبتغين هطولهُ ؟

من أين سمّنتهم إذن ؟

... لسنا نعاتبُ

نحن من جنّا خفافاً - لا مغانم تُثَقِّلُ الأكتافَ - ندري

أنَّ سرَّكٍ أخضرٌ ،

لكنّ من سرقوا الغمامة ،

عاتبوك على الجفاف .

زقاق

زقاق طويل

كتبنا على حائطيه : نسيرُ إلى ساحةٍ
وغنى المغنون فيه الفضاءاتِ
والشمسَ والبحرَ والأسلحةَ ...
فيا ساحةَ الأضرحةِ !
كفاكِ اتساعًا !

ويا عمرنا امتدَّ ، يا أهلَ أطفالنا
أرضعوهمْ حليبًا كثيرًا ،
أعدُّوا لهمْ ما استطعتمْ من الضوءِ
أبقوا لهمْ كلَّ عودِ تقابِ
وخلّوا القناديلَ ، والزيتَ
فالليل ينوي الإقامةَ فينا طويلا .

١٩٧٨/٥/٥

وردة

فاجأتنا الطائراتُ

اقتربتُ

وانخفَضتُ

ومَضتُ مبتعدة .

... ..

قريةٌ ؟ أم جثةٌ مبردة ؟

جثةٌ ؟ أم جمرةٌ متقدة ؟

ماتت الأحجار والأشواقُ ماتتُ

وعلاقاتُ المحبين ، ولم تتجُ الدجاجاتُ

ولا الماعزُ فوق التلّة الجرداءِ

لكن :

في ركابِ المشهدِ الموغلِ في الصمتِ

وفي الريحِ التي تصفر من حينٍ لحينٍ

فاجأتنا

وردةٌ منفردة !

١٩٧٨/٤/١٣

سفرة

سأوقظُ هذا المساءَ شهيداً من القبرِ
أصبحه في شوارع هذي المدينة ،
سأبقي عليه الدَّم المتخثرَ والوجعَ المستديم
وذكرى احتياج ، وذكرى التخلّي
وأبقي بأذنيه صوتَ الرصاص الذي
رجَّه رجَّه رجَّه
ثم أراده فينا وأقصاه عنا
سأسنده

بذراعي وأوقفكم :

"حدِّقوا فيه

هل تجرؤون ؟ "

وأعلم يا إخوتي أنكم تجرؤون
وتستكملون التزيُّنَ للسهرة التالية .

لمسة

جَمَعَتْ بِكُفَيْهَا الْحَنَانَ مِنَ الْحَقُولِ
نَثَرَتْهُ فِي شَعْرِي وَفِي صَدْرِي
كَمَا فَلَاحَهُ نَثَرْتُ إِلَى سَرَبِ الطُّيُورِ شَعِيرَهَا
صَوْتٌ يَجِيءُ مِنَ الْبَعِيدِ إِلَيَّ
تَقْتَرِبُ الْمَسَافَةُ ، إِنَّهُ الْخَطَرُ الْجَمِيلُ
مَنْ فَرَطَ رَقَّتْهَا أَقُولُ ، قَسَوْتُ ،
لَا يَتَحَمَلُ الْجَسَدُ الْمَعَذِبُ
بَحْرَ رَقَّتِكَ الَّذِي يَأْتِي بِفَيْرُوزَاتِهِ لَيْلًا إِلَيَّ
وَمَدَّةُ حُبٍّ يَمُوجُّنِي وَيَغْمُرُ قَامَتِي فَرَحًا
وَعِنْدَ الْجَزْرِ يَسْحَبُ خَلْفَهُ تَعْبِي الطَّوِيلُ

١٩٧٨/٥/١٢

منجل

تواصلنا ، تواجعنا ، حكيتنا
بكيت ، بكت ، ولكنا هداونا
وفي شغف
تلامسنا كسنبلتين
في حقل بعيد
وفي صمت
تبادلنا العناوين البعيدة
وافترقنا

١٩٧٨/٤/١١

جسد

مثلما المنزل عند الفيضان
جَسَدِي تحلُّهُ الفوضى
فمن أحكم أقفالي عليّ ؟
هل ترى يا صاحبي باباً ثقیلاً
حشد الأطفال أكتافاً
فأعياهم وما زالوا يريدون الدخول ؟
هل ترى في الجانب الآخر
أطفالاً وراء الباب ،
أعياهم ، يريدون الخروج ؟
كلُّ هذا جَسَدِي
آه ، من أحكم أقفالي عليّ ؟

١٩٧٨/٤/١٢

اشتقاء

حزامه الجلديّ
معلقٌ على الجدار
حذاؤه المتروكُ صار يابسًا ،
قمصانه الصيفيّة البيضاء
لم تزل تنام فوق رَفِّها ،
أوراقه المبعثرة
قالت لها : سيمعن الغياب
لكنها هناك لم تزل على انتظار
ولم يزل معلقًا
حزامه الجلديّ
وكلما مضى النهار
تحسّستُ خاصرةً عاريةً
واستندتُ إلى الجدار .

١٩٧٨/٤/٣

الشجرة

وحشية ، عالية الأغصان
مكتظة بالثمر الطيب والديدان والأولاد
وبالطيور الآمنة
وبالأفاعي الكامنة
زاهية ، وإذ تشاء داكنة
ساكنة ، وإذ تهب الرياح ماجنة
تشقها رصاصة الصياد
تقذ من أعوادها الرايات والمشانق
ويحتمي بها اللصوص والعشاق والفلاسفة
والملك المطرود من سلطانه
في ليلة جاحدة وعاصفة
لكنني وقد تشابكت أغصانها عليّ

عهدتها لا تمنح الأمان ،
أعلنتُ خوفي للفتى الصغيرِ
إذ لمحتُ راحتيه
ممدودتين نحوها
لكنني أراه راکضاً
يريد أن يعانق الأغصان !

١٩٧٨/٤/١٣

تميم

نما واحتمى بالجمالِ
وأجلَّ خوفي
وعاجلني الشوقُ في بُعدِهِ
وأصدقُ لو قلتُ إنّ النوافذَ
والضوءَ والعشبَ تشبههُ
وإنّ القصائدَ لا تستطيعُ اللحاقَ بِهِ
فما زال يعدو ويعلو
وللشعرِ عكازتان !

١٩٧٨/٦/١٣

قبل الأوان

إلى أهل دنقل ونجيب سرور وبحسب الطاهر عبدالله

كُلْ مَيِّتٍ قَتِيلٌ !

كُلْ مَوْتٍ جَرِيمَهُ .

حَسَنٌ يَا فَتَى

هَذِهِ حِصَّتُكَ ،

غُرْفَةُ ضَيْقَةٍ

وَالرَّدَى يَتَزَاحَمُ فِيهَا مَعَكَ

فِي مَأْقَبِكَ لَوْلُؤَةٌ لَا تُرَى

فِي يَدَيْكَ الْهَوَاءُ

لَا يَدَاوِيكَ طِبٌّ

وَأَنْتَ لِقَوْمِكَ بَعْضُ الدَّوَاءِ .

هَكَذَا يَنْتَهِي مِنْ عَصْنَى

مُفْرَدًا كَالدَّعَاءِ .

عَارِيًا كَالْحَصْنَى

هكذا تنتهي عادة

هكذا ينتهي من يرى

يجفل النجم من قرعة الطبل

يصطك باب سميك على طائر

تسرع الشاجينات التي هربت من رجال الجمارك

يستعرض العسكريون عسكرهم صاخبين

وهذي المدينة لم تدر أنك بين الملاءات في وحشة

والى وحشة مثلها ستغذ الخطى

حين يستيقظ الرعب من نومه

حين لا يسمع الراكضون إلى عتبات المهالك

أجرا سنا

حين يمشي الهلاك إلينا

ونحسبه شجرا ماشيا

حينما يصبح العمر لا خير لا شر لا بين بين

حين تخشوشن الروح أوج الصبا

حين تغدو الحياة كحفنة ماء نحاول إمساكها باليدين

قتيل هو الحي فينا

وميتنا ، ميت مرتين .

هكذا تنتهي أيها اليافع الكهل

حتى اشتعال البديل
هي جرثومة في البلاد لها الحَوْلُ والطَّوْلُ
والكَلِمَةُ الفَصْلُ واللَّغْزُ والحَلُّ
جَمْرٌ وَيَبْتَلُ جِسْمٌ وَيَنْحَلُّ عُمْرٌ وَيَنْسَلُّ
عَدْلٌ وَيَخْتَلُّ أَرْضٌ وَتُحْتَلُّ
والسيفُ يُسْتَلُّ مِنْ أَجْلِ أَعْنَاقِنَا
فلماذا المراثي إذن ؟
إِغْضَبُوا لِلْقَتِيلِ !

١٩٨٣/٦/١٨

الخنزير

أَمَلَسُ الْجِلْدِ ، بَطِينٌ وَ بَطِيءٌ وَسَمِيكُ الرَّقَبَةِ ،
وَتَقِيلُ الْخَطْوُ
عَيْنَاهُ إِلَى الْأَسْفَلِ دوماً تَنْظُرَانِ
وَلَهُ خَطْمٌ غَلِيظٌ نَاتِيءٌ
وَنَخِيرٌ كَصَرِيرِ الْعَرَبَةِ ،
كَوْمَةٌ مَذْهِنَةٌ حِينَ يَنَامُ
وَارْتَجَاجٌ دَبِقٌ فِي لَحَظَاتِ الْهَيْجَانِ
كَوْنُهُ يَبْدَأُ مِنْ وَجْبَتِهِ حَتَّى حُدُودِ الْعَتَبَةِ ،
يَحْتَسِي قَهْوَتَهُ الْأُولَى عَلَى مَهَلٍ
وَيَخْتَارُ حِذَاءً لَامِعاً
وَقَمِيصاً ذَا نَقُوشٍ وَخُطُوطٍ
وَرِبَاطاً شَجَرِيّاً لِلْعُنُقِ
يَرْتَدِي بِدَلَّتِهِ السَّمْنِيَّةَ اللَّوْنِ
وَيَحْشُو جَيْبَهُ وَ "السَّامْسُونَايْتِ"
بِنَقُودٍ وَعُقُودٍ وَعَنَاوِينَ الْعَشِيقَاتِ

وَيَلْقِي نَظْرَةً بَيْنَ الْمَرَايَا
يَسْكَبُ الْعِطْرَ الْفَرَنْسِيَّ عَلَى كَفَّيْهِ وَالْخَدَيْنِ مَرَّاتٍ
وَيَمْضِي ...
مُغْلِقًا بَابَ ... الْحَظِيرَةِ .

١٩٨٢/٣/٢٦ .

الخطيرة

الممرّاتُ من المرمرِ
والقاعاتُ ضوءٌ ومرايا ،
السجاجيدُ من الحائطِ للحائطِ
والأرضُ رخامٌ !
تحفٌ من كلِّ فجٍ وزّعتْ بين الزوايا
والحشايا من حرير
حشوة ريشُ النعامِ
كُتِبَ تلمعُ في أغلفةِ الجلدِ السمكة ،
إسمه بالأحرفِ الأولى عليها
وعلى كلِّ أداةٍ للطعامِ
يجثمُ اللونُ ، حشيشياً على المقعدِ
فضياً على المسندِ
محمراً على الموقدِ
مصفراً على طول الأريكة ،

وعلى الحائط تبدو صورة الخنزير كالبدن التمام
ضاحكاً والدر منثور أمامه ،
بينما ينسدل المخمل فوق النافذة
فاصلاً بين الحظيرة
والشوارع .

١٩٨٢/٣/٢٦

صورة

سماء زرقاء ،
غيوم بيضاء ورمادية
شوارع ممتدة ، متقاطعة ، منحنية
تتأرجح بينها الشعارات
حمراء زرقاء صفراء خضراء ، متضاربة ،
بيروت في الضحى ،
وأمام مدخل البناية ذات الطوابق السبعة
تقف عربة نقل الموتى
وبداخلها شيخان -
بلحيتين كسولتين -
استغرقاً في النوم .
سائق العربة يدور حولها بنفاذ صبر .
في شرفة الطابق الأول من البناية
شابان بملابس عسكرية .
في الشرفة الثانية
رجلان يلعبان النرد .
في الشرفة الثالثة
صبية تنفض سجادة قديمة .

بمضرب الخيزران
وبين ضربة وأخرى
تتقي بيدها اليسرى
غيمة الغبار
في الشرفة الرابعة
سيدة تنشر أقمطة بيضاء على حبل الغسيل .
في الشرفة الخامسة
ولدت ينطط طابئة ملوثة
في الشرفة السادسة
لا أحد
في الشرفة السابعة
حشد من النساء .
فجأة يطل الولد - مضطرباً - من الشرفة الخامسة
يداه تمسكان الإطار الحديدي
وعينه تلاحقان في هلع ولهفة
طابته التي راحت تندرج في عرض الشارع ،
حيث ما تزال عربة نقل الموتى
تنتظر نزول التابوت .

الشاعر

يبدو كوجه النهر هادئاً
يقضي شؤون يومه العادية
كالجدّة التّعبى ، وبائع الحليب
والصبيّ والعاشقة الملول ،
والمسافر العجول والسيدة الوحيدة .
وفجأة .
يُلقى به منفرداً
على شجيرة شائكة
تلتفّ حوله فروعها الهائشة المدبّية
فيبدأ التملّص الملحّ للفاك من وخزاتها العنيدة
وكلما استطاع أن يزحزح الشباك
توهجت من حوله الألوان والغيوم والطُرق
وحين يكمل الإفلات
يكون مرهقاً ، لأنّه
يكون أكمل القصيدة .

رضوى

كما يدخل الماء جوف الصخور
بقرينتا في فصول الشتاء
يشق له ألف درب بباطن أعلى الجبال
ويخلد فيها كتعلبة ترقبُ
ويصغي لوقع خطى الزارعين
وشق المحاريث للأرض عاماً فعاماً
ويخرج نهراً ، ونبعاً ، ونافورة تسكبُ
ويهتف كالطفل :

ها قد أتيتُ ، تعالوا اشربوا
فيشرب منه اليمام وأهل القرى
وقوافل ضلت ، وسنجابة تلعب
وتتغمر الأرض بالبرتقال
وتحمر فيها الورود ، وتتضج كل الثمار الوليده

كذلك حبك يدخلني

ويشرق وجه القصيده !

* * *

رضوى

يا قمح الخابية الذهبي لكل الجوعى

تتضجك الشمس المصرية

خبزاً للفلاحين يقوتهم

كي تبذر أيديهم قمحاً آخر

وتُصيرهُ أيديهم خبزاً

وتصيرين !

* * *

قومي يا دائرة الأشكال

وضمي هذا الكون الطفل وقوديه إلى الرشد

تلثمه شفتاك حناناً

وتعالى نتبادل حمل الكون الطفل بكفينا

فالكون جميلٌ ، وثقيلٌ ، فتعالى

إني وحدي !

* * *

لو ألقاك على جبل في التيه ، وما فيه

إلا أشواك الصحراء ووهج الشمس الشريره

ورمالٍ ورمالٍ ورمالٍ

حتى سقف الأرض النائي

لا نبعث الناس من الرمال وجاء الأطفال

وأنت آلاف صبايا الدنيا

ورجالٍ وشيوخٍ وقبائل

وامتدت في التيه صفوفٌ من خيمات الآتين

وستجري في الصحراء الأنهار

يتعمد فيها الأطفال

وتسقي العطشى

يصبح وهج الشمس الشريرة ضوءاً للعشاق

وعيناً ترعى الأولاد اللاهين

يبرق في الأفق البرق الفضي وينهمر المطرُ

تترامى غابات الورد

وينبعث البشرُ

وأصير أنا

وتصيرين .

* * *

وإذا أمشي عند حفاقي الشمس

أوقفني النيل جوار الشارع
قاسمني حفنة فستق
وتحدثنا
أخبرني أنك ذات صباح
قدمت له ورده
وأتى بجميع الأطفال يحدثهم عن رضوى
ذات العينين الواسعتين
أخبرني أن الوردة كبرت في وهج الشمس
صارت غاباتٍ ظللت الشطين
سكنتها كل عصافير الوطن الجوعى
وبنت أعشاشاً ذهبية
غنت ، طارت ، عادت تحمل قمحاً من أبعد بيدر
حدثني النيل وقال :
سألتني عنها الأشجار
سألتني عنها قطرات الأمطار
سألتني عنها أطياف الفجر
سألتني عنها مصر .

* * *

يا ذات الوجه المنذور لأرض الدلتا

ولحب فلسطيني مُتَعَبٌ
يا رضوى ، يا ذات الوجه الطيب
يسري في جسمي نهرٌ وشراع
وأنا أبحر داخل نفسي كل مساء
يحملني تيارِي الغامض نحو جبينك
وأنا أبحر داخل نفسي داخل شعري كل مساء
يحملني تيارِي الغامض نحو جبينك
وأنا أبحر داخل نفسي داخل شعري داخل وطني كل

مساء

يحملني تيارِي الغامض نحو جبينك
تحملني كفاكِ على وهج القوة
وإذا ما شحبت وجنات بلادي
وإذا ما احتلَّكَ سواد الأفق
على أرض الوطن المقهور
يتحول لون شراعي العاديّ
إلى لون الدم المسفوكِ
على كوبري عباس
تطلع فيه بنفسجة المنذورين
يقفون جوار النصب التذكاري "ونهضة مصر "

نذروا أنفسهم للعري الحارق
كي يكسو وطناً عراه الأقرام وهم يلهون
يا رضوى

في جسمي يسري نهر وشراع
وأنا أبحر نحوك كل مساء
أحمل في مركبتي الكنعانية تاريخ الشهداء جميعاً
يتحول لون شراعي العاديّ إلى لون الدم القاني
لو شحبت وجنات بلادي
أو لو صار مُحالاً أن ألقاك

* * *

يا ذات الوجه المنذور لأرض الدلتا
ولحب فلسطيني مُتعبٌ .
لما جنتك جنت كحبة زيتون عارية
لم أحمل ذهباً أو وعداً بالفرسان الأبيض ذي الذيل الممتد
لكني حملتك وعداً بقصيدة
ووعدتك أن أحيا فيك وفي وطني المتعب
ونذرنا نفسينا للعشق فلا ندري
من فينا المعشوق ومن فينا وطن المعشوق

ومتى نعشق هذا أو ذاك
لا ندري إلا أن العشق توحد فينا
والدرب طويل ممتد
ما بين الراحة والزنزانة
وتوحد فينا العشق وسرنا
والدرب طويل ممتد
ما بين الصمت وبين الصوت
وتوحد فينا العشق وسرنا
والدرب طويل ممتد
ما بين الميلاد وبين الموت
يا ذات الوجه المنذور لأرض الدلتا
ولحب فلسطيني متعب
إن كان الموسم هذا العام شحيحاً
والزيتون قليلاً في كل خواصي الفقراء
فلنرفع أيدينا في وجه الشمس
ولنقرع أسماع العالم :
موعدا العام القادم !

• • •

سميتك أول مقتول خلف متاريس الكومبونه

سميتك أول مولود في مصر الحرة
سميتك أول عاشقة منذ الطوفان
سميتك أول فلاح ينضم لعز الدين القسام
سميتك أجمل طفل ترضعه بين الغابات غزاله
تطلع من بين يديه الأشجار
لتمنح ظلاً لمواكب كل الناجين من المأساة
تطلع من كفيه ينابيع الماء
لتسقي أهل السر المشين إلى القدر الآخر
سميتك أشجع من يحمي الباب الموروب من الإعصار
سميتك راية بلدي إذ يرفعها أول من يصل الأسوار !

* * *

يا من وصفتها كل مواويل الرعيان
وشدتها كل أغاني الفلاحين
يا من كتبتها أيد سمراء نحيلة
فوق الجدران الضيقة السوداء
لتحتضن الشمس المغلولة
يا ضد جميع جرائدنا الرسمية
إني أقرأ في عينيك الزمن القادم
ولهذا أتحمل عبء حياتي

نشوان

وظهري يرزح تحت الأحمال

أتبسم إن ساءت كل الأخبار

وأسير وفي ظهري الخنجر

ما دمت تمرين براحتك الخضراء على جرحي

ما دامت شفتاك تقبل مفرقي المتعب

ما دمت مهددة مثلي

في نفس الدرب

ومن نفس الخنجر !

* * *

تأتيني ليلة أن رسموا لحبيبي دائرة

كالقرش المتقوب وقالوا

لا تتخطاها

كي نرضى عنك

وقال حبيبي لا

فغدا دائرة تحضن بلاد الله بمن فيها من أجيال الفقراء

خرج حبيبي من دائرة القرش المتقوب إلى البيدر

وكحبات القمح توزع بين سهول المنذورين

وغدا دالية يزرعها معتقل تؤنسه في ليل المنفى

تطعمه عنقوداً في كل مساء
أصبح ظلاً للماشي في قبض الوهج الظهري
إلى القدر الآخر
خرج حبيبي من دائرة القرش المنقوب
واختار لمولده يوماً آخر
فاتسع الوطن
كما يتسع الأفق أمام المهر النافر !

* * *

أنا يا رضوتي الراعي الذي مزماره القصبى لا يتعب
أغنيك
عتاباً ، ميجانا ، شِعراً أسمىك
وحقلاً لليمامات الصغيرة
تُطلعين الزاد للأغنام والرعيان
هل لي أن أساويك
سوى بالبيت
والوطن الذي تعطيه كي يزهو فيعطيك
وهل لي أن أساويك
سوى برنين باب السجن حين يرنُ منفتحاً على الشمس
وهل لي أن أساويك

سوى بعذاب وادي النيل أو بتوجع القدس
خذي صوتي الذي ينساب متجهاً إليك
مُضَيِّعَ الخطوات عبر مجاهل الدرب
ألا يا ظبية شردت وراء البحر
إني طفلك الراعي
وأنت الأفق أمشي نحوك ، اقتربي !
فخرفاني الصغيرة ، أسطري ، شعري نأت عني
ولست أنا بصيادٍ لأفزع ظبية شردت
ولكني أنا الراعي ،
الذي مزماره القصبي لا يتعب
أُغْنِيكَ
عتاباً ، ميجانا ، شعراً ، أَسْمِيكَ
وحقلاً لليمامات الصغيرة
يطعم الرعيان والخرفان ، قال الجوع إني ضيفك الأبديُّ
منذ الآن
ها إني أناديك
وأركضُ نحوكِ ، اقتربي
وأركضُ أركضُ ، اقتربي
تعالى احتضنكِ فتَهطل الأمطار في الصحراء والجرد

تعالى ربةً للخصب أحملها على زندي
أطوف بها بلاد الله والفقراء
أكرر فيهمُ باسمِكَ ،
أقول : علامتي صوتك
أقول : علامتي وجهك
أقول : علامتي جسدك
تعالى وابعثيني أمةً وطناً
رجالاً يَخْرُجون إذا مددتِ إلى أديم الأرض إصبعكِ
الذي إن قال كن ! فيكون
تعالى أحتضنك ينور النّوار
تطلع نبعه فوّارةً في الأرض ما بخلت على أحد
تعالى خلصيني من تَعَوْدِي الحياةَ على مدار العام
واخترقي تَكَرَّرَ أوجهِ الأشياءِ !
تعالى وادخلي جسدي !
تعالى وادخلي جسدي
وليس برفق من ينجنب الأشواك حين يداعب الزهرة
ولكن
مثل عاصفةٍ على شجر الصنوبر في ملاعبنا
ومثل تتَقَلُّ النيران في الحطبِ

تُوجَّوْجُ فِي جَفَافِ الْجَذَعِ جَامِحَةً

فَكُلُّ شَرَارَةٍ نَجْمٌ

وَكُلُّ تَوْهَجٍ جَمْرَةٌ

تَعَالَى مِثْلَ مُكْتَشِفٍ

يَمِزَّقُ بَعْدَ رَحْلَتِهِ خَرَائِطُهَا الْقَدِيمَةَ

غَيْرِيْنِي وَادْخُلِيْ جَسَدِيْ

كَعَصِيَّانٍ عَلَى مَتْنِ السَّفِينَةِ

تَسْتَبِدُّ بِهَا رِيَّاحُ الْبَحْرِ (يَا أَشْيَاءَ كُونِي

كَيْفَمَا شِئْنَا ، وَيَا صَارِي السَّفِينَةِ ، اعْبُرِي الدُّنْيَا وَحِيداً أَوْ

تَكْسُرِ)

تَعَالَى صَيَّرِيْنِي مِثْلَمَا الزَّيْتُونُ تَعَصْرُهُ الرِّيحُ زَيْتاً

يَنْبُرُ سَرَّاجَ بَيْتٍ فِي الْقَرْيَةِ لَيْلاً

وَيَمْهَرُ حُلُوَّةً زُفَّتْ لِفَلَاحٍ تَرَاقَّبَ ثَرْوَةَ الْمَوْسَمِ

تَعَالَى وَادْخُلِيْ جَسَدِيْ

كَهَبَةِ رِيحٍ

يَصْلِي أَلْفَ بَحَارٍ لِمَقْدَمِهَا

تَوَقَّفَتِ السَّفِينَةُ فِي أَعَالِي الْبَحَارِ

مَنْ شَحَّ الرِّيحُ بِهِمْ

وَفِي أَقْصَى الْمَوَانِيءِ تَرْقُبُ الْحُلُوتُ عَوْدَتَهُمْ

وصمت الريح منفي
والبحار الزرق منفي
والوليف على انتظار
والشراع كراية في يوم حزنٍ نُكِّسَتْ
هَبَي عليه
وأرسله إلى مياه البحر
راية ظافرٍ عائد
وهَبَي
علَّ شاطئهم يلوح ، تلوح في كل المرافئ
رُفَّة المنديل
في أيدي الصبايا
وتخبرهم نوارس شاطئء الأحباب
أن الواقفين على الموانئ صادقون
وأن موج البحر كاذب !
تعالى وادخلي جسدي
كَرَّشْ هَبْ من خرطوش صياد على الدوري
كوني الآن لاذعة
كأحلى ما تكونين
ادخلي جسدي

كما الشلال يدخل أول النهر
أرسليني جدولا
في صخر بلدتنا
لنشرب منه
مهرةُ جدنا الشهباءُ
إن عطشيتُ
وتهبط قرب شطيه
الحمام والشنانير المزغمة الجميلةُ
ينبت النعناع في جنبه
يرقص حوله الحجلُ
تعالني !
وارفديني
ولنكن نهراً
عظيماً ماله مثلُ
نغذ السير بين نواتيء الصخرِ
ونركض : علناً نصيلاً !

* * *

عيناك ! تطول حكاية عينيك
فرساً أطلقها البرق من الشرقِ

لمحتني ، حملتني عبر التاريخ إليك
ها هي تعدو فوق بيادرنا
المرشوشة بالأمطار
تعدو فوق المرج
فيلتفت الفلاحون
: فعدوا أجسادهم التعبى عن غرس الزيتون
والتفتوا :

فرسٌ تعدو فوق المرج
... يعودون لجني المحصول

.....

فهاتي نظرةً في البعد أجلس في مساحتها
كطفل بعدما عوقب
يقرص صامتاً ويغالب الذمعا
يظل معلق النظرات يرسلها إلى أمّة
كان صلاة كل المؤمنين تحل في جسمه
فيخشع بين أيديها
وقد يضحك
وقد يبكي
فهاتي نظرةً في البعد

أجلس في مساحتها
كطفل بعدما عوقب
وأسجد في سكون الليل
إجلالاً لما تخفيه عيناك !

* * *

وحدي أحمل أفراح الغابات
والأنهار السرية ، عباد الشمس
وأجنحة يمامات بلادي
أحملها
أحمل قاعات الخطباء الشبان بليلات البرد الكانونية
أحمل أحزان الغابات
والأشعار وكل موائق المطلوبين
أحمل باقات النرجس من "عين الدير"
تلدعني رائحة الزعتر في وديان بلادي
وأراني حلواً ،
خيالاً تحكيه مواويل القرية
تحملني فرس البرق الأسطورية
وأراني منتصراً عبر هزيمتي الأسطورية
فانبعثي أيتها الفرس القادمة من الشهب

طوفي مع جنّيات الماء
بأنهار بلادِي
فلعلّ الأمواج الورديّة تبجر
بسفائن كل الأطفال الفقراء
يقفون ، تحدّق أعينهم في الأفق الغسقي النائي
ويغنّون بصوت واحد
هيا

لموا أسمالكم السوداء لنبحر !
وتزغرد جنّيات النهر وأشرعة السفن
وتجنّ مياه النهر بأغنية الأطفال الفقراء :

أبحرت كل المراكب
هربت كل الثعالب
يا غراب الجوع لا تتعق علينا
أصبح المغلوب غالب
هللو يا ! "

عيناك ! تطول حكاية عينيك
فرسٌ أطلقها البرق من الشرق
لمحتني ،
حملتني

عبر التاريخ إليك
أعطتني شعر الورد وشعر النذر
أن أبحر ضد الماء
أعانق أشجار الزيتون
أمتزج مع الأغصان الخضراء
مع الأوراق الخضراء
وأعري صدري للريح ، ولا أسقط إلا مع آخر ثمرة
ويدور غنائي مع دورات الريح بأعلى الأشجار
عبر سفوح الوطن المزروعة تنتظر الأمطار :
ما دامت عيناك دليلاً لنشيدي
فأنا شاعر
وأنا والشعر لعينيك !
تأتيني أمسية ترقبنا وقع الأقدام
على درج البيت
والطرق الوحشي على الباب النائم
ها قد جاءوا في طلبك !
لا .. لم يصلوا .. بعد
وعيونك يا زوجتي اتسعت ببهاء البحر
الواثق من عمقه

كانت عيناك الخائفتان قليلاً
والعارفتان كثيراً

أقوى منهم

أقوى من وقع الأقدام على السلم

كانت أيديهم لا تتسع

إلا لحديد القيد المغلق

أما أنت

فتتسع يداك لحمل العالم

يسكنها الوطن وحب المخدوعين الآتين لأخذك

من غرفة نومك قبل الفجر

ومن بين يدي

من بين رموش الوطن المستيقظ يرقبهم ..

... ويصلي لك !

حين ذهبتِ

مالت أزهار اللوتس نحو الماء

ومدت كفيها تستبقيك !

* * *

حين ذهبتِ

حقل من عباد الشمس تلفت نحوك

وتخلى عن وجه الشمس !

* * *

حين ذهبتِ

صعدت كل الأفراس البيضاء لأعلى التل

تنتظر تفتح زهرات الوادي

كي تعرف أنك عدت !

* * *

حين ذهبتِ

تغير معنى الطرق على الباب

وتغير عنوان البيت !

يسألني أطفال الحي

اللاهون وراء فراشات العصر :

هل أنت اليوم بلا أخيك ؟

فأقول لهم :

أختي ذهبت بعد البحر

فانتقلت غابات اللوز الأخضر

بعد البحر

أختي ذهبت بعد البحر

فانتقلت أشغال الزيتون الفضيّة

بعد البحر
وأقول لهم :
العالم
يرحل عني بعد البحر
وأنا
أتحمل وحدي هذا الوزر
أتحمل
يا أطفال الحي
اللاهين وراء فراشات العصر
مهمة أن أحيأ !
يا زوجتي الغائبة بعيداً ، بعد البحر
أتوهم في ليلي أن النوم عميق
لكن غزالات الحلم الواسعة العينين توافيني
تأتيني أمسية الفستان الأزرق
لما غافلت البحر نهراً
وسرقت لفستانك لونه
فأسود البحر طوال الليل
يتهامس مع موجاته
ويهدئ من غضبتها الصاخبة عليه

ويعدّها أن يسحرك بسحر الشمس النائمة وراءه
ياخذك بعيداً في صحراء البحر
ويرجع لونه
وتموّج فستانك باللون البحري على جسدي
تحمله النسمات
وسمعنا همس البحر كشفنا سره
وتعانقنا بين الرمل وبين الماء
لكن الشمس النائمة وراء البحر
سحرتك كما وعدت ، لما بزغت
وأعادت للبحر الزرقة
فخطفك يهدهدك السحر الشمسي
وغلبني
أعلنت هزيمتي القاسية وحيداً عند الشاطئ
أرسل عينيّ بعيداً .. بعد البحر
من يرفع عن محبوبتي
هذا السحر الشمسي !
من يعطيني قوته الخارقة
لأغلب بحراً
فأنا أرسل عينيّ ، إليك أصبحُ أصبحُ

غلبني البحر !

* * *

يا زوجتي الغائبة بعيداً ، بعد البحر
أتوهم في ليلي أن النوم عميق
لكني أستيقظ كل صباح عند الفجر
فتطل مع الفجر قصيدة
تسألني عنك

لا أبكي

أذهب لحظات لسريرك
تستيقظ منه قصيدة

وتقول " صباح الخير "

وأقول " صباح النور "

أخذها من كفيها

وأعود إلى قلبي وإلى الدفتر

تجلس بجواري

واضعة راحتها فوق الخد

تسألني عنك

لا أبكي

أنظر للمكتبة الهادئة كما كانت دوماً

في ركن البيت
وأرى أوراقتك ألمسها
ترتعش على شفتي قصيدة
تسألني عنك
لا أبكي
وأمدُّ يديَّ إلى ألبوم الصور الأحمر
فتطل قصيدة
تنتشر قصائدك ، تحيط بطاولتي
تتحدث عنك طوال الليل
وتهل الشمس
ويجيء نهار آخر
وتردد كل قصائدك نشيداً في الأحلام
أمي تركنتي عند الفجر
أمي ذهبت بعد البحر
هاتيها يا فرس الشعر الفضية
وسأسقيك حليباً مسحوراً
يملك إليها
فتعالى يا آلهة السحر
واسقي الفرس الفضية حتى تشبع

وانتظريها حتى ترجع
تعدو الفرس المسحورة تبحث عنك بعيداً .. بعد البحر
ويجيء الظهر
ويجيء العصر
ويطل الفجر
ويمر نهار آخر !

تخرج فلاحات قرانا
يحملن دلاء
يرشقن سماء القرية برذاذ الماء
ويغنّين نشيد الاستسقاء
يا رضوى
وأنا أستسقيك
ودلوي مملوء بزهور الأشعار
أرشقها بين يديك
وأدورّها سبع أساور في زنديك
أرشق منها بين نهودك فله
أفرشها فوق طريقك
يفرغ دلوي المملوء ، فهل يأذن محبوبي لحظة

لأعود إلى بيتي البري النائي
كي أحضر دلواً آخر
مملوءاً بزهور الأشعار
أرشقها طول الموسم بين يديك ،
وفوق طريقك
فأنا
كالفلاحات بقريتنا
أخرج في الليل لأسقيك تهلين عليّ
ويهل شتائي
يخضوضر في بيتي البري العشبُ
ويتفتح الليلك
وأظل أطوف حوارِي القرية طول الموسم
استقيك فهليّ هليّ ،
هطلت أمطار الفلاحات
فغنين نشيد الشكر لآلهة الأمطار
وروحن
وأخلين الساحات
أما شاعرك الواقف في عري ظلام القرية
ما زال يغني وحده

غطاه ندى الليل وكلت قدماه

لا يسمعه إلا راعي الليل ، القمر الطواف يسوق

النجمات

يا رضوى باحت لي أصغر نجمة

(إذ غافلت الراعي الغيران من الشاعر) عن وجهة راعيها

القمر وقالت

راعيها يأخذنا الليلة بحثاً عن رضوى

فتعال لعلك تلقاها

يا رضوى !

إني والقمر الراعي والنجمات نسير إليك الليلة

وأنا والقمر الراعي والنجمات تعبنا ونعسنا

هل تأتين ؟

يا رضوى الغائبة بعيداً

بعد البحر

ها نحن حملنا باقات الورد الأحمر

وتوزعنا

في كل مداخل بلدتنا

ننتظر خطاك ،

مسوت صهيل حصانك

وجهك يبرز شمساً فوق الزرع انطالع

يا رضوى

الزرع الأخضر طفلاً

القمر الأحمر طفلاً

والعالم طفل

فتعالى

ها نحن توزعنا في كل مداخل بلدتنا

ها نحن حملنا باقات الورد الأحمر !

١٩٧٣

غَمَزَة

غَمَزَةٌ مِنْ عَيْنِهَا فِي الْعُرْسِ
وَانْجَنُ الْوَلَدُ !

وَكَانَ الْأَهْلَ وَاللَّيْلَ وَأَكْتَافَ الشَّبَابِ
الْمُسْتَعِيزِينَ مِنَ الْأَحْزَانِ بِالدَّبَكَةِ
وَالْعَمَاتِ وَالْخَالَاتِ وَالْمُخْتَارِ
صَارُوا لَا أَحَدًا !

وَحَذَهُ اللَّوَيْحُ ، فِي مَنْدِيلِهِ يَرْتَجُ كُلُّ اللَّيْلِ
وَالْبِنْتُ الَّتِي خَصَّتْهُ بِالضَّوَاءِ الْمُصَفَّى
أَصْبَحَتْ كُلَّ الْبَلَدِ .

مَدَّ يَمَنَاهُ عَلَى آخِرِهَا
نَفَضَ الْمَنْدِيلَ مَثْنَى وَثَلَاثًا
رَكَّبَ الْجِنَّ عَلَى أَكْتَافِهِ ثُمَّ رَمَاهُمْ ، وَانْحَنَى .
رَكَّبَ الْجِنَّ عَلَى رُكْبَتِهِ ثُمَّ رَمَاهُمْ ، وَاعْتَدَلَ .
قَدَّمَ ثَبَّتَهَا فِي الْأَرْضِ لَمَحَا

ورمى الأخرى إلى الأعلى كشاكوشٍ
وأرساها وتدّ .

كلّما أوْشَكَ أن يهوي على سحجةٍ كفِ
جاءهُ من الناي سَنَدٌ .

يلقِفُ العِثْمَةَ كالشهوة من أعلى بروج الليلِ
حتى ضوءِ عينيها تماماً .

يَغْرَقُ الصَّدْرُ وشَعْرُ الصَّدْرِ
من مِيلَاتِهِ يُمنَى وَيُسْرَى

ثم يسري عَرَقُ الظَّهِرِ عمودياً تماماً
وحياة القلبِ خلى كلّ ما في القلبِ يخفى

والقميصُ الأبيضُ المبتلُّ
من أكتافِهِ حتى حزامِ الجِلْدِ

خلى فُقراتِ الظَّهِرِ تُخْصَى بالعدَدِّ .

غمزةً أخرى ولو ميتٌ هنا
غمزةً أخرى ، ولو طال انتظاري
للأبدِ !

الشهوات

كسَّرَ البرقُ بَلُورَهُ في الأعالي
وأفلتَ من دِغْلِهِ نَمِرٌ طائشُ اللونِ
رَنَّتْ على ظَهْرِهِ فَضَّةُ الليلِ
والرغبةُ الغامضةُ ،
كَأَنَّ الصواعقَ تَعْدُو على جسمه وهو يعدو ويعدو
ويعلو عن الأرضِ
حتى ليوشكُ أن يشغلَ الجاذبيةَ عن شُغْلِها
لحظةً ،
ثم يرقى إلى ما يشاء الخيالُ !
هذه شهوتي للتي أشتَهِيها بخمسِ حواسٍ
ولكنها لا تُنالُ !

نَمِرٌ طائشٌ في عِلالِيهِ قلبي
ووثباتُهُ طَرْدُ ضوءِ الليلِ وليلِ لضوءِ

وأنا لم أعد أشتهي أيَّ شيءٍ
فأنا أشتهي كلَّ شيءٍ
من زمانٍ يليق بموتي
إلى أول المشي واللثغ والأوّل الإبتدائيّ
حبّ الشباب ومشط السخافة
رسم الشوارب بالحبر فوق الشفاه
دويّ البلوغ الذي يخلط الرعب باللذة
المستطيلة شيئاً فشيئاً
ويأخذنا راجفين إلى موعدٍ أهبلٍ
تحت بيت الدَّرَج .

شهوةٌ للعب
للصوصيةِ الطفلِ فينا
نُغافلُ بخلَ العجوز التي وجهها
مثل كعكٍ تبلّلَ بالماءِ
كي نسرق اللوز من حقلها ،
متعّةُ العمر أن لا ترائنا
وأمتعُ منها ، إذا ما رأتنا ،
مراجلتنا في الهَرَبِ ،

وأمتع من كل هذا
إذا استلّمت خيزرانتها واحداً ،
وانضرب !

شهوة للوساوس في ليل قريتنا ،
كل من زاد عن عمرنا سنة
خوف الكل بالضبع أو بابت آوى
وفاخرنا بالجسار
واصفر خداه من قطبة عابرة !

وأنا أشتهي كل شيء
من مكان يليق بموتي
إلى شغب أزرق النار بالجارّة الفائرة .

من حرير التلامس والإنسجام
والنعاس الشفيف
وذاك الحفيف
إذا النور حكّ المخدّة شيئاً فشيئاً
وعزّ علينا القيام !

إلى شهوتي لمطار رحيم
ولذاك الطراز الذي لم أجربهُ
من سفر للسفر
حيث لا يغرس الضابطُ الوحشُ
نابيه في روح روحي
ويجلسُ في كامل الاعتزازِ بسلطانهِ
مثل ضبيعٍ وسيم !

شهوةٌ لوجوه النساء اللواتي يخفنَ قليلاً
ولكن يقفن طويلاً بجفن الردى وهو نائمٌ
وطرحاتهن الغيومُ وأقدامهن الجنانُ
وفي روحهن الأساورُ والماسُ
لا في المعاصمِ
يطرز أثوابهن العجاجُ الكريمُ
فيخدشن خوذة عصر الغزاةِ
ويُسِقطن عَصِر الهوانمِ
شهوةٌ لوجوه الرجال الذين بنوا في المضافةِ
بيتَ الكرمِ
وبيتَ النكات اللئيمةِ

بيت التهكم من كل عالٍ قوي
وبيت المساء الطويل بطول الجدال
وأخبار كل البلاد
كان الحاصرة من تحتهم
هيئة للأمم .

شهوة لبلاد
نجوع ونشبع فيها
ونسجن أو نطلق الصدر للريح فيها
وفيهما الذي يسلب الروح منها
وفيهما الذي يسكب الروح فيها
ولكن يرف كريمة عليها العلم .
شهوة لبلاد تطالب أبناءها
بأقل من الموت جيلاً فجيلاً

وفيهما من الوقت وقت نخصصه
للخطايا الحميمة والغلط الأدمي البسيط
وزحزحة الافتراض البطولي عنا قليلاً .

فمسكينةٌ أمةٌ حين تحتاجُ كلَّ البطولاتِ
من كلِّ أبنائها
وتعيشُ الحياةَ قتيلًا قتيلاً .

شهوةٌ لبلادٍ ثَقُلُ الأناشيدُ فيها
ثَقُلُ الرموزُ ، ثَقُلَ الطبولُ
وفيهما نعودُ إلى نمنماتِ احتياجاتنا العابراتِ
بلا خجلٍ أو ندمٍ .

شهوةٌ أنْ أصدُقَ أنْ البسوس
تجوب عواصمنا وهي تحملُ خُرْجًا من التكنولوجيا
وترعى حقولَ الذهبِ ،
وأنا خَرَجْنَا من المشهدِ الأدميِّ وغبنا
وناقتنا لم تغب !

شهوةٌ أنْ يُصابَ الأسي بالغضبِ
أو تُصابَ الدموعُ ببعضِ التعبِ
أو يحدّدَ لي ناقدُ الشعرِ
كيف أفرّق بين الهجاءِ ووَصْفِ العَرَبِ !

شهوة أن تغادرني غصّة الحلقِ
إذ ترفع الأمة الآن راياتها

شهوة أن تقول " الأوبيك "
أيّ سعرٍ تحدّدُه لدمي في اجتماعاتها .

شهوة أن أرَدَ على الهاتف المتأخر ليلاً
بدون التوجس من كارثة ،

شهوة أن أكون الضحية لامرأة عابثة
لا لثوري هذا الزمان ،

شهوة أن تكون الخنازير مطرَحَها ،
في الحظائر أو في المسالخ أو في البراري
وليس على المقعد المخمليّ .

شهوة أن نُحبَّ البطاطا ومقلوبة القرنبيطِ
وحتى جهنمَ أو أيّ شيءٍ

سوى الأمريكان .

شهوة أن يفوزَ الفؤادُ بأحلى الوظائفِ :

حريةِ الشكر ، حرية الصمتِ

حرية الرقص حبًّا إذا ما هوى

والتخلي الأنيق إذا ما نوى

والتقلُّ ما شاء بين الرضى والجفاء .

شهوة أن تكون الخصومة في عزِّها .

واضحة .

غيرَ مخدوشةٍ بالعناقِ الجبانِ

فقبلاتُ من لا أودُّ حراشفُ سردينِـةٍ

وابتسامتهُ

شعرةٌ في الحساءِ .

شهوة أن تكونَ المودةُ في عزِّها .

واضحة .

دونَ طُعمِ الوُعودِ ودون اللُّغة ،

فاللغة

عُلبَةٌ للرِّياءِ

واللغة

لُعْبَةٌ فِي يَدَي مَنْ يَشَاءُ

واللغة

رِشْوَةٌ لِلنِّسَاءِ

واللغة

سَمْسَمُ الْكَاذِبِينَ الْوَفِيرُ

وَفَخٌّ يَهْيَأُ لِلْبَنَتِ مِنْذُ الصَّبَاحِ الْمُنْمَقِ

حَتَّى سَرِيرِ الْمَسَاءِ .

شَهْوَةٌ لَغَمُوضِ الْعَتَبِ .

شَهْوَةٌ لَاعْتِذَارِ الْعَيُونِ الذَّكِيِّ .

شَهْوَةٌ لِلضَّمِيرِ الْأَنِيْقِ .

شَهْوَةٌ لِيَدٍ فِي يَدِي فِي الزَّحَامِ .

شَهْوَةٌ أَنْ نَغْفَّ الْحَيَاةَ كَابِرِيقِ مَاءِ

تَبَلَّلِ فَخَارُهُ بِالْنَدَى .

شَهْوَةٌ أَنْ يَقُولَ الْمُحَقِّقُ

مَنْ أَطْلَقَ النَّارَ فِي رَأْسِ " نَاجِي الْعَلِيِّ " .

شَهْوَةٌ أَنْ يَحْذَرَنِي أَحَدُ النَّاسِ

من طعنة في الظلام .

شهوة أن أرى ما يرى كله
في شمولٍ عظيمٍ يوحد بين نجوم السماء
وخصلةٍ عشبٍ بقاع البحار
وبين كهوفِ العتامِ وقوسِ الأفقِ .

شهوةٌ للقاء مع امرأتين في امرأةٍ واحدةٍ :
صُبْحُهَا في وقارِ الغسقِ
لَيْلُهَا في فجورِ الشفقِ
هي راهبةٌ في النهار
وفي الليل مرغابةٌ للمسراتِ
ولوالةٌ بالنداءاتِ
مصهالةٌ بالشبقِ .
شهوةٌ لتلاوين نشوتنا
فهي خضراءُ غابيةٌ في ذراعيك
عند انغلاقِ العناقِ علينا
حَبِيسَيْنِ في واسعٍ من فضاءِ النوايا
سَجِينَيْنِ مثلَ العصافيرِ في ريشها

وهي تلهو وتلعبُ في الجوّ
هابطةٌ صاعدة .

شهوةٌ لتلاوين لذتنا
وهي دائرةٌ بيننا ، مِنْ بداياتها لبداياتها عائدة
وهي زرقاءُ فضيَّةٌ حين تلمعُ رِغَشَاتُهَا في العظام
وتغدو أنيناً
وتغدو رنيناً
ونصلُ المباهجُ يجتازُ جسمي وجسمكِ
في لحظةٍ واحدة !

شهوةٌ لتلاوين لمساتنا
فهي شاش الجراح التي خَلَفَ البُعْدُ فينا
وبعض الدواء
وهي زلزالنا الهشُّ تسري نُعومتُهُ
بالدويِّ الفجائيِّ عند اللقاء
وهي خُبْتُ الثعالب عند اللعب
وهي ركنُ الملاهي الفسيحِ
المراجيحُ والطير والريخُ ، وهي المخدَّاتُ

إذ نستريحُ وعند الدعابات
شيطنةً من نوايا تُزيحُ الحياء
وتفتحُ باب الشغبِ .
شهوةٌ أن أشبُّ على سلّم شاهقٍ
في أقاصي السماء
واستأذنُ الله ، أسأله :
هل رأيتنا عيونُ الحبيبِ نميلُ
كحزمة قمحٍ
من المنجلِ الملتوي
للجفافِ المؤكّد
للمطحنة ؟

نُذبرُ مُعجزة العيش بالمعجزات الصغيرة ،
بالصبر والطيش بالمهد والنعش
تمشي المذلة مشي الكريم وتمشي
وتمشي الكرامة مشي الذليل لتمشي
ويمشي البريء كمشي الظنين ونمشي
والله إنا أطعنا كما شئت
والله إنا عصينا كما شئت

والله إِنَّا احْتَمَلْنَا المَوَاجِعَ فِي كلِّ فصلٍ
كما تَتَحَمَلُ زَيْتُونَةُ الحقلِ كلَّ فصولِ السَّنةِ .

يا حبيبَ المحبِّينِ إِنَّا امْتَحِنَا كَثِيرًا
وإِنَّا امْتَحِنَا طَوِيلًا
فِرْحَمَاكَ يَا خَالِقَ الحَاكِمِينَ وَيَا خَالِقَ النَّاسِ
يَا خَالِقَ الوَحْشِ والسَّوسَنَةِ !

كلما كَسَرَ البرقُ بَلُورَهُ فِي الأعَالِي
اِسْتَهَيْتُ أَقْلًا قَلِيلَ الحَيَاةِ فَمَا لَاحَ لِي غَيْرُ مَوْتِي !
بِلَادًا أَسْمِيكَ أُمَّ غَوْلَةٍ يَا بِلَادِي ؟!
فَهَلَا تَرَكْتِ لَنَا فِسْحَةً كِي نَطِيلَ البَكَاءِ قَلِيلًا
عَلَى المَيِّتِينَ ،
وَهَلَا تَرَكْتِ لَنَا فِسْحَةً
كِي نَهْيَءَ فَوْجًا جَدِيدًا
مِنَ الذَّاهِبِينَ إِلَيْكَ بِأَكْفَانِهِم رَاكُضِينَ ،

أَتُرَكِي فِسْحَةً كِي نُرَبِّي الضَّحَايَا عَلَى مَهْلِنَا !
وَحْذِيهِمْ رَغِيْفًا رَغِيْفًا

ولا تأخذهم طحين ،

أتركي فسحة كي يشبَّ البنفسجُ فوق المقابرِ
شبراً ،
ووقتاً لتُفرِّجَ عنا السجونَ ،

أتركي فسحة كي نحسَّ جمالَ التفاهاتِ في العيش :
بضع نقاطٍ من الماءِ بعد النهوضِ من البنجِ
والمشي مترينِ بعد التثامِ الكسورِ
وصوتِ المزاريبِ بعد الجفافِ
وأرجوحةِ العطرِ
تدفعها نحونا شتلةُ الياسمين ،

صندلٍ من زهورِ الربيعِ
لطفلٍ رضيعٍ يُتَلْتَلُهُ بين أسنانهِ
البارزاتِ كأربعِ حبَّاتِ أرزٍ جديدٍ
وعُرسِ الصبيِّ الوحيدِ
ووَخْطِ المشيبِ المبكرِ في مفرقِ الزوجةِ المشتهاةِ
على مخملِ الأربعين ،

وامتلاء السنابل إذ أثقلتُها رسالتُها
فانحنت تحت وطأتها متعبة ،

أتركي فسحة للفتى
كي يُزيلَ عن الوجه حبَّ الشباب
وتصعدَ كفاهُ في لهفةٍ
فوق فخذِ الصبيبةِ
يكسو عراءَ الخيالِ
بطهرِ البياضِ المُزغَّبِ والتَّجربةِ ،

أتركي فسحةً للفتاةِ
تُحزِّزُ في كتفِ صاحبها بالأظافرِ
لذتها
حين تدهمها ، فجأةً ، كالتماع النَّصالُ .

أتركي فسحةً كي نحلَّ اتِّحادَ النساءِ
ونُدخلَ مشطاً على شعره المشربَّ
ونعفي مخذاتنا من ليالي الجدالِ ،

أتركي فسحةً كي نُقَشَّرَ هذي القداسة
عن كل شعيرٍ بليدٍ يحبك
والرَّمَزَ عن حَبَّةِ البرُتْقَالِ ،

أتركي فسحةً كي نرى في البلاد البعيدة
ما عندها من جمالٍ
فعينُ المُهاجِرِ تخشى تَمَعُّنَها في الجمالِ ،

اجعلينا نَحِلُ ونَرَحِلُ
مِنَ أَجْلِ رَغْبَتِنَا فِي الْبَقَاءِ أَوِ الْإِنْتِقَالِ
أتركي فسحةً كي تَضِلَّ الشَّنَانِيرُ دَرَبَ النِّجَاةِ
وتأوي إلى فَخِّ عَمِي
ولا تخبريه بأن ابنه الآن صَنِيدٌ
لدوريةٍ سفكت دَمَهُ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ !

ارجعي كي نُعِيدَ سَقِيفَتَنَا لِلدَّجَاجِ الْكَرِيمِ
الذي كان قَاسَمَنَا " خَنَّهُ " سَكَنًا
أو نُعِيدَ الْخِيَامَ لِكَشَافَةِ

يسهرون على شاطئ الصيف
بالرقص والاحتفال .

ارجعي كي نقوم إلى دبكة
لا تهز السيوف
ولكن تهز القلوب وخرُوبَ شعر الجدائل
ذات اليمين وذات الشمال .

كلما كسّر البرق بلُورَه في الأعالي
اشتَهِيتُ أَقْلَ القليل
بكلّ الحواسِّ ، وَمَنِّيتُ نفسي بأبسط ما يُشْتَهَى ،
واستحال

شهوةٌ أن تُضايقنا في المرايا ككلّ العباد .
التجاعيدُ حَوْلَ الجُفُونِ !

شهوةٌ أن يغني لنا اللحن خصر الصبيّة
لا " عائدون " !

شهوة أن يكون حديث المقاهي
سخيفا كما ينبغي أن يكون !

شهوة أن تخلي البنات يرتبن ما شئن
من كذب أبيض
كي يقابلن عشاقهن
ويشعرن بالانتصار البسيط على والد
أسس الترك قصرا على شاربينه
وأم يحدثها قلبها بانفلات الفتاة
ولكن تهون عن زوجها الأمر
حتى يهون ،

شهوة أن نعلق في غرف النوم
لوحاتنا الغامضات
وليس شريط السواد
على صور الغائبين .

شهوة أن نفكر في رهبة الموت
من بعد ما صار كالخس في السوق

كَدَّسَهُ الْبَائِعُونَ .

أتركِي فِسْمَةً لِلرَّجَاءِ !

أتركِي فِسْمَةً لِلْجَنُونَ !

أَنْتِ أَخْبِثُ مِمَّا نَظَنُّ وَأَحْلَى

فَهَلَّا ابْتَكَرْتَ لَنَا فِكْرَةً لِلصُّعُودِ إِلَيْكَ

سَوْى مَوْتِنَا فِي هَوَاكَ ؟

شَهْوَةٌ أَنْ نُرِيحَ الْقَصَائِدَ مِنْكَ قَلِيلاً

وَنَكْتُبَ عَنْ أَيِّ أَمْرِ سِوَاكَ .

١٩٩٢/٥/١٨

رثة الإبرة

تطريزُ ثوبكِ صامتٌ .. ويقولُ
الأخضرُ المبحوحُ نايَّ ناعمٍ
مستَه كَفُ الرِّيحِ والراعي
وأزرقُه دفوفٌ حولها شُعَلٌ
وأحمرُه طبولٌ

ومنمنماتُ رسومِه همسٌ وإصغاءٌ
وغامقُها به نَعَسٌ
وفاتِحُها له نَفَسٌ
وفاجرُها خَجولٌ

والخطُ يصعدُ ، مستقيماً ، من وقارِ الذيلِ
حتى الخصرِ
يلمسُ قوسَه ، ويميلُ

وعلى اتساع الصدر
تصخبُ حفاةُ الأشكالِ ،
زهرةُ الجنائنِ ،
مندرينَ هائجٍ
ذهَبٌ ورمَانٌ يرنُ ، وأشهبٌ يرنو
وكُحليٌّ كوخزِ الجرحِ ،
عشبيٌّ كلذعةِ غصنِ نعناعٍ بكوبِ الشاي
والأكمامِ في وَهَجٍ تَجَمَّعَ فوقَهُ وَهَجٌ
وأَسْرارٌ موزعة على كَفَيْكَ
خافيةٌ وباديةٌ
ومن زمنٍ إلى زمنٍ
تزوغ من الزوالِ ولا تزولُ

وسوادُ ثوبكِ إنْ حكى أوجاعهُ
أبكى العرائسَ والشيوخَ
وذلكَ الغيمَ الذي يمشي جوار الله
حَسَبَ هَوَاهُ
حتى لا يطيقَ الاكتنازَ بمائِهِ

هذا جدادك منذُ كُنتِ
 فأبي ذاكِرةً تسيرُ على الترابِ إذا مَشَيْتِ
 وأيُّ هَوَلٍ إنْ عَتَبْتَ على زمانِكَ
 يا كريمةً ، وهو مِقْلَالٌ بِخَيْلُ
 مِنْ عَهْدِ كَنْعَانَ الْبَعِيدِ
 وَمِنْ حكاياتِ الْخُرَافَةِ
 وهي تلمع كالذخيرة تحتَ تِوراةِ الْحَدِيدِ
 وَمِنْ خَبِيئَاتِ الْمِوَانِي فِي سِوَادِ الْبَحْرِ
 وَالْحِرَاسِ نَصْفٌ فِي سُبَاتٍ دَائِمِ
 وَالنَّصْفُ حَوْلُ

لَمْ يُبْصِرُوا الْأَوْلَادَ مَصْرُورِينَ
 فِي صُوفِ الْبَطَاطِينِ الْقَدِيمَةِ
 وَالْبِغَالُ تَكَادُ تَدْمَعُ وهي تَحْمِلُهُمْ وَرَاءَ النَّهْرِ
 وَالْأَقْفَاصُ تَأْخُذُهُمْ بَعِيداً فَوْقَ مَوْجِ الْبَحْرِ
 وَانْفَرَطَ الْمَكَانُ عَلَى الْأَمَاكِينِ فَجَاءَ
 لِتَضْيِيعِ زَيْنْتُنَا عَلَى الطَّرِيقَاتِ

حَتَّى ظَنَّنَا الرَّائِي قَبَاحاً فِي الْخِيَامِ
وَلَمْ نَكُنْ ،

بَلْ إِنَّهُ الْمَنْفَى قَبِيحٌ ، وَالرَّحِيلُ

التِّينُ وَالزَّيْتُونُ وَالْبَلَدُ الْأَمِينُ
وَشَالُ رَأْسِكَ ، كَحُلِّ عَيْنِكَ الْإِلَهِي
الْقِلَاعُ الْغَامِقَاتُ

رَنِينُ إِبْرَتِكَ الَّتِي وَقَعْتَ عَلَى لَيْلٍ
شَهَرْتَ سَوَادَهُ وَبَيَاضَهُ

وَمِخْدَةُ الْغَيْمِ الَّتِي اتَكَاتَ عَلَيْهَا
قَامَةُ السَّرْوِ الْمَسَافِرِ فِي الْأَفْقِ

وخطى الضيوف

صهيلُ حَبِّ الْهَالِ

ضَوْءُ الْبَرْتَقَالَةِ حِينَ مَالَ الْغَصْنُ وَانْتَبَهَ الشَّفَقُ

وَبُخُورُ كَهَّانِ الْجِبَالِ

خُطَى الصَّحَابِيِّينَ

تَرْبِيَتُ النَّخِيلِ عَلَى الْقِيَابِ

وَرِعْشَةُ الرُّطْبِ الْجَنِيِّ

وَشَمْسُكَ الْأُولَى وَبَحْرُكَ

كيف زُجَّتْ كُلُّهَا فِي خِيَمَةِ ؟!

متنا كما متنا ، ونحيا مثلما نحيا
ونعلم أنَّ من يَلْقَى العذابَ كما لقينا
سوف يصتَفُنْ صَفْنَةً ، ويقولُها :
إِنَّ الْفَلَسْطِينِيَّ مَخْلُوقٌ جَمِيلٌ

لَيْلٌ يَنُورُ لَيْلُهُ اللَّيْلِيَّ أَكْثَرُ مِنْ قَمَرٍ
فَعَلَى رَقَائِقِ قُبَةِ الذَّهَبِ الَّتِي نَعِسَتْ ، وَمَا نَامَتْ ، قَمَرٌ ،
وَعَلَى أَصَابِعِ ذَلِكَ الْوَلَدِ الْمُحَجَّبِ قُرْبَ مَتْرَاسٍ ، قَمَرٌ ،
وَعَلَى قَمِيصِ الْبِنْتِ وَهِيَ تَمِيلُ نَازِفَةً ، قَمَرٌ
وَعَلَى جَبِينِكَ حِينَ تَلْتَفَتَيْنِ لِلْجَنْدِيِّ نَافِرَةً ، قَمَرٌ .
وَأَكْفَنُ ، بِلَهَائِهَا ، الْمَلْحُوقِ ، تَدْفَعُ كُلَّ بَابٍ مَغْلُوقٍ
وَالْمَوْتُ يَلْمَعُ سِنُهُ الْمَكْسُورُ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ .
وَسَوَادُ ثَوْبِكَ صَامِتٌ
لَكِنَّكَ مِنْذُ أَنْ قَالَتْ ، تَقُولُ

تَدْحُو الْفَطَائِرَ كُلَّ عِيدٍ
أَوْ تَزُوقُ لِلْمَوَالِيدِ الْقِمَاطَ
وَتَمْسَحُ الْأَحْزَانَ وَالْدَّمَ وَالْبَلَاطَ

وتعصرُ الزيتونَ في القُفِّ المِهولةِ
تتسجُ الأزهارُ في رُكنِ المخذةِ للصغيرِ
وفي الصباحِ تشدُّ شحمةُ أذنهِ
وتعالجُ البللَ الغزيرَ على السريرِ
تردُّ شالَتها تُعزِّي في القَتيلِ
ترد شالَتها وتذهبُ للتهاني ،
تزرعُ الرياحُ في الشرفاتِ ،
تشغلُها مقاديرُ الأرزِ ،
وآخرُ الأخبارِ من جهةِ الفدائيينِ ،
والبناتُ التي حردتْ لأنَّ حماتها وصلتْ
وأبناءُ الوفاقِ العالميِّ ووجبةُ الغدِ والغسيلِ
مدِّي يدَيكِ إلى المراسي النائياتِ جميعها
لمَي الصناديقِ التي حملتْ صيغارَكِ
في سوادِ الموجِ
رَبِّهِمْ
أَعَدَّيْهِمْ ليومِ المُلْكِ
فُكِّي السَّحَرِ والألغازَ عَنْهُمْ
واجمعيهمُ مثلما جَمَعْتَ يداكَ الزعترَ البريَّ

في الصبح النظيف
ومثلما علّمت إبرتك الصغيرة
أن تلمم شارد الألوان في أطراف ثوبك
مثلما اجتمعت علامات القيامة
بين كفك والأصابع
وهي ترمي صبرها في مقلع الصوان
ثم تهز أكتاف الشوارع
وهي تُقصي وهي تُدني
وهي تحجب أو تتلّ

أنت الكنائس والكمائن
والمساجد والمساجين الذين يُركضون زمانهم
بالقيد أو بالقرصاء
وأنت من ماتوا على خط النهاية
والمتاريسُ المقامة حولهم
الفلّ والفولاذ أنت
وأنت ما في الشوق من غضب
وأنت اليأس مكتملاً ، يحاول
أن يشدّ غزاة الأمل الكبيرة

من رؤوس قُرونها
أنت البقاء والابتداء
وأنت أولُ أمّهات العيد
بهجتهُ ودمعتهُ
عمودُ الدارِ ، والبالُ الطويلُ

تمشينَ بين مسالكِ
فيها المَهالكُ دانياتٌ والنجاةُ بعيدةٌ
والخوفُ كالذنبِ الأليفِ بباب بيتكِ
صامتٌ ، مُتَّعَمٌ بالشمسِ
يُغلقُ عينهُ ، ويُطِلُّ بالأخرى عليكِ
على خطاكِ ، على نواياكِ الصغيرةِ
فليكنْ !

خَفْنَا بما يكفي لنذكرُ كلَّ ما شاءوا لنا نسيانهُ
خافي قليلاً ثم مري من نداءاتِ الجُودِ
إلى زقاقٍ فيه حصّةٌ خوْفِهِمْ
خوفِ الغريبِ من المقيمِ
وخوفِ زيِّ العسكرِ الكاكي من الألوانِ ترحفُ في الطريقِ
وخوفِ عيني قاتلِ

مِنْ أَنْ يُحْدَقَ فِي ارْتِبَاكِهِنَّ الْقَتِيلُ

أَنْتِ انْكَشَافُ الرَّأْسِ فِي هَذَا الْعَجَاجِ بِنَارِهِ وَدُخَانِهِ

مُرِّي كَأَنَّكَ كُلُّ ذَاكِرَةِ الْبِلَادِ تَمُرُّ بَيْنَ عَيُونِهِمْ

فَلَكَ الطَّرِيقُ لَكَ الطَّرُوقُ

وَلَكَ الْمَكَانُ عَلَى امْتِدَادِ مَكَانِهِ

لَكَ وَخَزُ كَوْعِ جَنِينِكَ الْمَشْتَاكِ فِي جِدْرَانِ بَطْنِكَ

لِلْحَيَاةِ بِحُلُومِهَا وَبِمَرِّهَا .

لَكَ قُوَّةُ الْمَوْتَى

الَّذِينَ تَأَبَّدَتْ فِيهِمْ مَطَالِبُهُمْ

فَلَا أَحَدٌ يَرُوضُهُمْ

وَلَا أَحَدٌ يَخَوْفُهُمْ

وَلَا أَحَدٌ يُضِلُّهُمْ

وَلَا أَحَدٌ يُبْذَلُ فِكْرُهُ سَقَطُوا عَلَى دَمِهَا

فَإِنَّ الْمَوْتَ نَوْعٌ مِنْ عِنَادِ خَالِدٍ

لَا يَبْرَحُ الْمَوْتَى

وَيَنْتَظِرُونَ ،

يَنْتَظِرُونَ فِي صَبْرِ طَوِيلٍ لَهَيْئَةِ الْعَذَاءِ

بِالدَّمْعِ الَّذِي لَا دَمْعَ يَشْبَهُهُ ،

فَمُرِّي ، وَلْتَمُرِّي الْآنَ ، مُرِي بَعْدَ عَامٍ ،

بَعْدَ أَعْوَامٍ

خَذِينَا حَيْثَمَا شَاءَتْ خُطَاكَ

وَحَيْثُ شِئْتَ .

وَأَيْنَمَا أَعْطَتْ يَدَاكَ إِشَارَةً

فَهِيَ الْإِشَارَةُ وَالْقِيَادَةُ ، وَالذَّلِيلُ

تشرين ثاني / نوفمبر / ١٩٨٩

المنزل الغريب

دخلتُ إلى منزلي ، لم أكن مخطئاً
الأثاثُ الأليف اختفى كُلُّهُ
والأراجيح مصفوفة ككراسي العزاءات تهتزُّ في كل ركنٍ
وفيها أبي زوجتي إخوتي وبناتي
وجدي الذي شاب حاجبه حكمةٌ
يميلون مع مِثْلِها كيف مالتْ
سُكاري أجلاءً ،
أذُرُعُهُمْ ساقطاتٌ على الجانبينِ
ويحجبُهُمْ عن وقوفي فراغُ العيون
ويشغلُهُمْ عن ذهولي اندهالُ
أأبقى ؟ أأمضي ؟ أطردهم كُلَّهُمْ
أمْ ألامِسُهُمْ في حنان الممرضِ ؟
أمْ أنزوي باكيًا عالمي كُلُّهُ
أمْ أدبِرُ أرجوحةً أتكومُ فيها

كما يفعلون جميعاً
 وألقي ذراعي على جانبي في استكانة ميت ؟
 وما كان موتاً ولا هم بموتي !
 ولكنهم ميّل الوقتُ قاماتهم ثم مالوا !
 أبي ، إخواني ، كلّ أهلي
 إذا الأهلُ أنتم سابكي طويلاً
 وإن خدعتني عيوني وكنتم سواكم
 وكنتم بعيدين عن كلّ هذا ،
 تعالوا !

١٩٩٣/١٠/١٨

قصيدة الرجل الجميل

في شِرْعَتِهِ
العالم ليس حراماً وحلالاً
بل قبحٌ وجَمالٌ .
ولهذا يتَّبِعُ جنوناتِ القلبِ
ويخطئُ ويصيبُ .
مبهوراً أبديُّ يكرهُ أن يتعوذَ .
تتَفَقَّدُ عيناهُ الأسئلةَ الأولى
كنبيَّ سَهْرَةِ الشكِّ .
لا يمتدِّحُ الأقوى ،
والكلماتُ لديه معانٍ ، لا لَمَعانٍ .
فَنَاصُ فُكَاهاتِ
وله شُغْبٌ تتخرمشُ منه أساساتُ مدينتِهِ
ووفيرُ الأعداءِ .

ولأنَّ الضَّحْكَ على النِّكْتَةِ إقرارٌ بالرَّأوي
لا يضحكُ وغدٌّ مِنْ نكْتَتِهِ .

ولأنَّ الثَّرَثَةَ غبارٌ فوقَ زُجاجِ الناسِ
يحمي مُتَحَفَهُ المتأَلِّقَ في دَاخلِهِ ، بالصمتِ .
في الفرصةِ ،

يُبعدُ كِتْفِيهِ عن المسعورينَ ذوي اللَّهْفَةِ .
في السَّهْرَةِ ،

سيِّدُها ، لكنَّ يحرصُ أنْ لا يبدو .
في السَّجَنِ ،

يلمُّ القِشَّةَ تلو القِشَّةِ

كي يبني أعشاشَ عِصافيرٍ لا يعرفُها
في المَرَأَةِ ،

رجُلُ يُعنى برجولته وأنوثته
ليكونَ جديرًا بالحبِّ.

امراة

نضجت على قلق الحياة وفي المضائق .
تُتعبُ الأقدام والأجفان
سيدة على أقدارها
وتكاد تلهو بالصعوبة ، ثم
تنسى كل ما ينسى إذا ارتعشت
وتذكر كل شيء وهي تعلم أنه
لا شيء يَخجلُ من أوانه .
ترمي قميص النوم في فرح وتخرج منه
لأفقا !

لا مُراهةً تُلاطفُ بالدُمى أو بالكلام
ولا تنثيرُ سُراهةَ المراة زينتها
وتعرف كيف تجعلُ عاشقاً يبكي ويضحك
وهي لا جد ولا هزل
وأعظم ما يزين ذكاءها

جَسَدٌ بِهِ حُمُقٌ عَظِيمٌ
 عَالِ كِفَاكِهِمُ الْبَرَائِكِينَ الْبَعِيدَةِ ،
 وَرُطَّةٌ خَلَابَةٌ .
 وَلَهَا الْمَشِينَةُ دَائِمًا لَكِنَّهَا
 تُدْرِي حَلَاوَةَ أَنْ تُسَلَّمَ كُلُّ قَلْعَتِهَا
 وَأَحْيَانًا تُسَوِّسُكَ كَيْ تُسَاسَ عَلَى هَوَاهَا
 هِيَ حُرَّةٌ أَوْ عَبْدَةٌ حَسَبَ الْهَوَى
 وَتُرِيدُ لَذَّتَهَا مَذَاقَاتِ وَإِصْغَاءَ وَرَائِحَةَ وَلَمْسًا
 ثُمَّ تَفْرُكُ عَيْنَهَا حَتَّى تَرَاهَا
 وَتَرَى صَبَاحًا ، دَاخِلَ الْمَتَرِ ، وَفِي يَدِهَا الْكِتَابُ
 بِهَا غِنَى عَنْ كُلِّ مَرْتِيٍّ وَرَاءِ ،
 زُهْدُهَا لَوْمْ جَمِيلٌ
 وَهِيَ تُشَبِّهُ كُلَّ امْرَأَةٍ
 وَلَا تَبْدُو كَانَ اللَّهُ لَمْ يَخْلُقْ سِوَاهَا !

على خشبة المسرح

صخبٌ وموسيقى وحفلٌ راقصٌ
في مقبرة .

موتٌ وقهقهةٌ هنا

صمتٌ وراياتٌ مَزَوَّقةٌ هناك

ركضٌ ولكن لا مسافةٌ للخطي

زغرودةٌ ترتجُ في وادي الهلاك

المُخْرِجُ الأعمى يديرُ لنا مَشاہِدَنَا العجيبةَ

هَمَلْتُ المجنونُ دَسَّ السَّمِّ في ليلٍ لوالديه

وأوفيليا البدينةُ عاهرة

وتقصَّفتُ في البرقِ أشجارٌ بلا ثمرٍ

وبين جذوعها تعلو المشانقُ مُثمرة .

ما أجمل التانجو هنا !

بين الشواهدِ والأهليَّةِ والسَّكوتِ

أيموتُ مَنْ تحت الترابِ لأنهم رقصوا على أشلائه ؟

أم يَرْقُصُ الجَمْعُ الجبانُ لأنَّ أشجَعَهُم يموتُ ؟
 المشهد العبثيُّ طال بنا وطالَ
 وَ مَرَّ قَاتِلُنَا فَمِلْنَا نَحْوَهُ
 وكأننا ذَنْبٌ يميلُ على أيادي المغفِرةِ
 هي ليلةٌ مجنونةٌ
 صَخَبٌ وموسيقى وحفلٌ راقصٌ في مقبرة
 عبثاً نحاول أن نُصَوِّرَ هذه الملهاة مأساةً
 فأين جلالُها ؟!
 هاتوا ثيابَ المَسْخَرَةِ !

١٩٩٥/١٠/٢٢

لا مشكلة لدي

أَتَلَمَّسُ أحوالي .. لا مشكلة لدي

شكلي مقبول . ولبعض الفتيات

أبدو بالشَّعر الأبيض جذاباً .

نظاراتي متقنة

حرارة جسمي سبع وثلاثون تماماً

قميصي مكوي وحذائي لا يؤلمني

لا مشكلة لدي .

كفاي بلا قيد . ولساني لم يُسكتْ بعدُ

لم يصدر ضدي حكم حتى الآن

ولم أُطرَد من عملي

مسموح لي بزيارة مَنْ سجنوهم مِنْ أهلي

وزيارة بعض مقابرهم في بعض البلدان

لا مشكلة لدي .

لا يدهشني أن صديقي
أنبت قرناً في رأسه .
وأحب براعته في إخفاء الذيل
الواضح تحت ملابسه
وهدوء مخالبه يعجبني .
قد يفتك بي ، لكني سوف أسامحه
فهو صديقي
وله أن يؤذيني أحياناً
لا مشكلة لدي

ما عادت بسمات مذيع التلفزيون
تُسببُ لي أمراضاً
وتعودتُ على توقيف الكاكيتين لألواني
ليلاً ونهاراً . ولهذا
أحملُ أوراقي الشخصية حتى في المسبح .
لا مشكلة لدي .

أحلامي ركبتُ أمس ، قطار الليل

ولم أعرف كيف أودعها
وأنتني أنباء تدهور في وادٍ
ليس بذی زرع
(ونجا سائقه من بين الركاب جميعاً)
فحمدتُ الله ، ولم أبك كثيراً
فلدي كوابيس صغرى
سأطورها إن شاء الله إلى أحلام كبرى
لا مشكلة لدي .

أتلّمس أحوالي منذ ولدت إلى اليوم
وفي يأسني أتذكرُ
أنّ هناك حياة بعد الموتِ
ولا مشكلة لدي .

لكنّي أسأل :
يا الله !
أهناك حياة قبل الموت ؟

المشورة

صَنَّمْ رِخَامِي أُصِيب بِحَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ يَوْمًا
دَعَانَا ، فَاْمَتَّئِلْنَا تَحْتَ شَرْفَتِهِ الرُّخَامِ .

وَبَدَا حَزِينًا رَاعِشَ الْكَفَّيْنِ
مَذْ قَالَتْ لَهُ عَرَافَةٌ عَجْمِيَّةٌ

" سَتَمُوتُ إِنْ لَمْ تَسْتَشِيرْ أَحَدًا "

تَتَحَنَّنُ

ثُمَّ نَقَلَ بَيْنَنَا نَظَرَاتِهِ ...

كَدْنَا نَصَدِّقُ أَنَّ فِينَا مِنْ سِيْمَتِخِ فَرْصَةٍ
لِلنُّطْقِ بَيْنَ يَدَيْهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ مِنْ أَلْفِ عَامٍ ...

فَإِذَا بِسَيِّدِنَا الصَّنَمِ

يَسْتَلُّ مِرَاةً ، وَيَرْفَعُهَا ، وَيَنْظُرُ

ثُمَّ يَسْأَلُهَا

فَتَنْطِقُ بِالمَشُورَةِ ، ثُمَّ يَشْكُرُهَا ،

وَيَكْسِرُهَا ،

مَخَافَةً أَنْ يُعَوِّذَهَا عَلَى حَقِّ الْكَلَامِ !

صندوق جدتي

زَمَنْ مُطَوًى كَالشَّرَاشِفِ
رَتَّبَتْهُ مِنْ ارْتِبَاكَاتِ الْجَفُونِ
أَمَامَ سَيِّدِهَا الْعَرِيسِ
إِلَى جَنَازَتِهَا الْقَلِيلَةِ فِي الْمَطَرِ
صُورٌ ، مَنَادِيلٌ مُطَرَّرَةٌ الْحَوَافُ
رِسَائِلُ الْأَحْبَابِ ، مُذْ تُلِيَتْ عَلَيْهَا
ظِلٌّ مِنْ آثَارِ دَمْعَتِهَا عَلَى غِيَابَتِهِمْ
بَلَلٌ عَلَى الْخَشَبِ الْعَتِيقِ .
وَفَوْقَ مَقْبِضِهِ الْمُزَخْرَفِ
لَمْ تَزَلْ لِمَسَاتُ كَفِّهَا مُجَعَّدَةٌ
وَأَحْقَاقٌ مِنَ الطَّيِّبِ الْقَرِيبِ مِنَ الْخُرَامِ
مَفْرَشٌ طَيَّاتُهُ لَمْ تَتَفَرَّدْ أَبَدًا
مَكَاحِلُ ، بَضْعُ أَحْزَمَةِ مَقْصَبَةِ الْخِيوطِ
وَلَذَّةُ جَنْسِيَّةٍ مَرْمِيَّةٍ فِي أَسْفَلِ الصَّنَدُوقِ
لَمْ تُلْمَسْ بِتَاتَا

طَوْقُ عُمْلِيَّةٍ ، حُجُبٌ وَأُدْعِيَّةٌ ،
ودعواتُ الخطوبةِ والزواجِ
خواتمُ ، لم يحظْ إصبعُها بها يوماً
أَخْصَصْتَ الخواتمَ للهدايا يا تُرى ؟
أم بَخَلْها المَرْوِيُّ عنها قولُ صِدْقٍ ؟
كيف لم تبخلْ إِذَنْ بحياةِ إبْنِها
اللَّذِينَ اسْتَشْهَدَا في ليلَتَيْنِ
مُنَادِيَيْنِ اسْتَشْهَضَا كُلَّ الْقُرَى يوماً ، وناما
عُلْبَةُ التَّطْرِيزِ فيها كُلُّ بَرَقِيَّاتٍ مَن عَزَّوَا ووَاسُوا
وَالْقَصَاصَاتُ الَّتِي ذَكَرْتَ مُحَاسِنَهُمْ .
وَصُورَةُ ذَلِكَ الْجَبَلِيِّ وَالِدِهِمْ
يُطَرِّزُ صَدْرَهُ صَقَّانٍ مَن فَشَكَ عَتِيقٍ
في شَبَابِ جِهَادِهِ
كَمْ كَانَ يَنْكَرُ أَنَّهُ بَطْلٌ
ليَذْهَبَ لِلْبَطُولَةِ دُونَ ضَجَّتْهَا
ولم يرجعْ . فَقَطْ بِيَسَاطَةِ الْبُلْهَاءِ لَمْ يَرْجِعْ
وَأَعْمَتِ نِصْفَ عَيْنِهَا وَلَمْ يَرْجِعْ .
وهَـذِي صُورَةُ لَزْفَافٍ أَصْغَرِهِمْ
تُكَلِّلُهُ سُيُوفُ الْفَنْدَقِ الْغَالِي

وراقصة تميلُ على شواربه الوليدة
والعروسُ بدينةً
مزدانةُ الرُسغَيْنِ بالذهبِ البدينِ
وصورةٌ لحفيدها المقتول في بيروت
هل ضاعت رسائله ؟
هنا أشلاءُ أغلفةٍ ،
طوابعُ لم تزلْ ترسو بها سفنُ الخليجِ
وأرزةٌ ونقوشُ تونس ، بحرُ قبرص ،
رسمُ أهرامٍ وتمثالٍ عراقيٍّ وكَرْتٍ من أثينا
كنزةٌ صوفيةٌ لم تكتملْ
سِنارةٌ مكسورةٌ ، قَلَمٌ بلا حبر
أَتَكْتُبُ ؟! ما الذي فَعَلْتُ بِهِ ؟!
صُورٌ لجارتها الجديدة
(دائماً جيرانها جُدُّدٌ !)
ومفتاحُ لبيتٍ غابرٍ في اللَّدِّ ،
عنوانُ لبيتٍ في ضواحي القدس
صورةٌ عقدِ إيجارٍ لبيتٍ ضيقٍ في الشامِ
مِرْآةٌ ومشطٌ في مقاسِ الكَفِّ من خَشَبِ
(تَكْسَرُ منه سِنَّ واحدٍ)

تركت ظلال ظلالها الحناء في انحاء
 وتغامقت بتدرج يخبو
 هنا صابونها البلدي ، صبغة شعرها
 وهنا ملاعقها الحرير (هدية لزواجها القسري)
 ذكرى صار ملمسها كسطح الخيش
 (يضربها الفدائي النبيل إذا عصت نظراته يوما)
 ولكن كم تعلمت التحمل والتغاضي !
 كيف كان الحب يولد في الفواصل
 بين كدمات الشجار
 وهل خلقن لمثل هذا يا ترى ؟
 صندوقها الخشبي لا يحكي عن الوقت الحميم
 كأن في جداتنا من كل شيء كل شيء
 ما عدا أجسادهن
 عدمت نفسي إن كذبت ،
 أردت دوما أن أفتش عن ملامح قلبها
 عن نزوة الأنثى وعن حيل وعن جن
 وعن سر يخبئ سرها
 زمن مطوى كالشراشف مثلما تهوى
 وليت العمر رتب هكذا يا جدتي !

قومي على كنتفي ومُرِّي في الزمان غريبة
وتأملني ما تبصرين
من ارتباكات الجفون أمام سيدك العريس
إلى جنازتنا جميعًا في المطر .

١٩٩٥/٣/٢٣

الصفحة

٧
٩
١٢
١٤
١٥
١٧
١٨
٢٥
٢٦
٢٨
٣٠
٣٢
٣٤
٣٥
٣٦
٣٧
٣٨
٣٩
٤٠
٤١

القصيدة

مشهد يومي
الشرفة
رضوى
غبطة
موج
مدرج
أبو منيف
قيد
النافذة
السياج
الساحة
القبائل
هم
زقاق
وردة
سهرة
لمسة
منجل
جسد
اشتھاء

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET